الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون – تيارت –
كلية علوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

مذكرة مقدمة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

موسومة بـ:

الحياة الاجتماعية في الأندلس من خلال كتب الحسبة (عهد المرابطين والموحدين 635/484 هـ /1091-1238م أنموذجا)

إعداد الطالبتين:
- ربوح زينب
- طاهر حبيبة

إشراف الأستاذ:
- أ.د/عليلي محمد

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د/ شرف عبد الحق.....رئيسا
أ.د/ عليلي محمد.....مشرفا ومقررا
أ.د/صديقي نصيرة..... عضو مناقشا

السنة الجامعية: 1445-1446هـ/ 2024/2025 م

بسم الله الرحمن الرحيم

اهـداء

بفضل الله وتوفيقه أتممنا هذا العمل فأهديه إلى :

عائلتي الغالية حصني ودعائهم الذي لا ينقطع

أستاذي المشرف محمد عليلي الذي لم يبخل بتوجيهانه الثمينة وصبره الكريم

أساتذتي الأفاضل الذين أغدقوا عليا بعلمهم ونصحهم طوال رحلتي الدراسية

الأستاذة فتيحة مخاطرية جزاها الله خيرا لما قدمته من عون وعلم كان نورا لي

وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

زينب

اهـداء

الحمد لله وكفى والصلاة على الحبيب المصطفى وأهله ومن وفى أما بعد :

الحمد لله الذي وفقنا لتثمين هذه الخطوة في مسيرتنا الدراسية بمذكرتنا هذه ثمرة الجهد والنجاح

بفضله تعالى مهداة إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله وأدماهما نورا لدربي

لكل العائلة الكريمة التي ساندتني ولا تزال من إخوة وأخوات

إلى من كاتفتني ونحن نشق الطريق معا نحوالنجاح في مسيرتنا العلمية إلى زميلتي ربوح زينب إلى كل من ساعدني وكان له دور من قريب أومن بعيد في إتمام هذه الدراسة سائلة المولى عزوجل أن يجزي الجميع خير الجزاء في الدنيا والأخرة.

حبيبة

شكـر وتقديـر

الحمد لله الذي جعل العلم مفتاح النجاح وطريق النجاة والفلاح نحمده سبحانه ونشكره جعل العلم أساس كل نهضة، والمعرفة حلية كل أمة، والثقافة وعنوان كل مجتمع، وأشهد أن لا إله إلى الله وحده لا شريك له رفع شأن العلم فأقسم بالقلم وامتن على الإنسان فعلمه مالم يكن يعلم، وأشهد أن نبينا محمد عبد الله ورسوله، أرسله ربه هاديا، وإلى التزود بالمعرفة والعلم داعيا صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ألي النهي والعلم والعرفان، والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

نشكر وما الشكر إلا لله العلي العظيم الذي وفقنا لإتمام هذه المذكرة، كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذنا الفاضل عليلي محمد الذي يرجع له كل الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في إنجاز هذه العمل من خلال النصائح القيمة والتوجيهات السديدة التي قدمها لنا كما لا ننسى شكرنا الخاص إل عميد كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ورئيس قسم العلوم الإنسانية وجميع أساتذة تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط ويسعدنا كذلك أن نتوجه بجزيل الشكر و الامتنان إلى لجنة المناقشة الموقرة كل من الأستاذ شرف عبد الحق و الأستاذة صديقي نصيرة.

والشكر كافة إلى من ساعدنا سواء من قريب أوبعيد في إنجاز هذا العمل.

الرموز والمختصرات

الرمز	الدلالة
ت	توفي
ج	جزء
ص	صفحة
ص ص	من الصفحة إلى الصفحة
ط	طبعة
ع	عدد
ق	قرن
م	ميلادي
هـ	هجري
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تع	تعليق
د ب	دون بلد
د ت	دون تاريخ
د ط	دون طبعة
د م	دون تاريخ
مج	مجلد
مر	مراجعة

مقدمة

شهدت الأندلس تحولات عميقة على المستويين السياسي والاجتماعي خلال عهدي المرابطين والموحدين وهما الدولتين اللتين نشأتا في المغرب الأقصى وامتد نفوذهما إلى الأندلس في إطار انقاذها من الممالك النصرانية المتربصة بالمسلمين فكان لهما أثر كبير في إعادة شكل البنية الاجتماعية وتنظيم الحياة اليومية وفق مبادئ مستمدة من الشريعة الإسلامية وقد كانت الحسبة إحدى أبرز الأليات التي استخدمتها دولة المرابطين و الموحدين لضبط الحياة العامة حيث تجاوز دورها الجانب الإقتصادي إلى مراقبة السلوك الأخلاقي والديني مما جعل منها مرآة تعكس تفاصيل الحياة الاجتماعية في ذلك العصر وهي من المواضيع التي تستدعي إهتمام الباحث في التاريخ الإسلامي الوسيط لدراسته بإعتبارها وظيفة إدارية ورسالة دينية وخط الدفاع الأول عن الأخلاق ووسيلة لحفظ الأمن تمنع من تفشي الإنحراف في أواسط المجتمع.

ونظرا للدور المحوري الذي قامت به هذه الخطة في بناء مجتمع متوازن تسوده القيم وتحكمه مبادئ الشريعة الإسلامية خاصة في ظل الحاجة الماسة اليوم لإحياء مثل هذه القيم ولهذا أردنا أن نسلط الضوء على هذا الموضوع بالدراسة محاولة منا التعرف على الفوارق أو التحولات في الحياة الاجتماعية بين فترتي المرابطين والموحدين من خلال مؤسسة الحسبة ودورها في ضبط السلوك العام والحفاظ على النظام الأخلاقي وجاء موضوعنا الموسوم بـ الحياة الاجتماعية في الأندلس من خلال كتب الحسبة (عهد المرابطين والموحدين 484-635هـ/1091-1238م، أنموذجا)، ولمعالجة هذا البحث قمنا بطرح الإشكالية التالية:

كيف يمكن الاعتماد على كتب الحسبة لمعرفة الأوضاع الاجتماعية في الأندلس خلال عهدي المرابطين والموحدين؟

حيث تندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية جاءت على النحو التالي:

- ما هو الدور الذي أدته مؤسسة الحسبة في تنظيم العلاقات الاجتماعية في الأندلس؟
- كيف ساهمت الحسبة في ظبط السلوك الأخلاقي لدى المجتمع الأندلسي؟
- إلى أي مدى نجحت دولتي المرابطين والموحدين في ضبط سلوك المجتمع من خلال الحسبة؟

وقد وقع إختيارنا لهذا الموضوع قصد التعرف على إحدى الخطط الدينية التي ساهمت في ضبط السلوك العام للمجتمع؛ كونها تمثل العلاقة بين الدين والدولة، وكذا إثراء المعرفة بتاريخ الأندلس من زاوية اجتماعية نظرا لندرة الدراسات التي اهتمت بربط كتب الحسبة بالسياق الاجتماعي والتاريخي في الأندلس خلال هذه الفترة هذا من ناحية، أما من ناحية آخرى فهي الرغبة الشخصية في التعمق في تاريخ الأندلس.

وللإجابة على هذه التساؤلات اقتضت منا قواعد البحث الأكاديمي اعتماد المنهج التحليلي الذي رأيناه مناسبا للموضوع في فهم محتوى كتب الحسبة واستنتاج أبعادها الاجتماعية، كما استعمالنا المنهج الوصفي الذي وظفناه في التعرف على مظاهر تفعيل خطة الحسبة في الأندلس في عهدي المرابطين و الموحدين و مدى التزام المجتمع بقواعدها و من الدراسات السابقة التي ساهمت في إثراء موضوع مذكرتنا نذكر منها: أطروحة دكتوراه لـ العوفي سلمى بعنوان "الحسبة في الأندلس"(897-92هـ) و التي أفادتنا في الفصل الثاني حول الحسبة عند المرابطين في المغرب وأما في الفصل الثالث شرحت لنا الارتباط الوثيق بين مؤلفات الحسبة و الواقع الاجتماعي للأندلس بالاضافة إلى رسالة ماجيستر لإبراهيم بن حليمة بعنوان نظام الحسبة في المغرب والأندلس في فترة المرابطين و الموحدين و التي أفادتنا في توضيح شروط متولي الحسبة إلى جانب تقديم صورة مفصلة حول مظاهر تفعيل خطة الحسبة في الأندلس المرابطية.

وللوصول إلى نتائج علمية ارتأينا تقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة كانت عبارة عن عرض لمختلف العناصر المتناولة وأربعة فصول وخاتمة.

استعرضنا في الفصل التمهيدي لمحة تارخية عن نشأة الحسبة وتطورها في الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، الفصل الأول خصصناه للحياة الاجتماعية في الأندلس على عهد المرابطين والموحدين من فكرة ظهور الحسبة ومظاهر تفعيلها في الأندلس المرابطية كما تطرقنا إلى ذكر مكونات المجتمع الأندلسي وخصائصه.

أما الفصل الثاني فقد عالجنا فيه الحياة الاجتماعية في الأندلس الموحدية بداية بفكرة الإصلاح عند الموحدين وعلاقتها بالحسبة كما أشرنا إلى واقع الحسبة في المجتمع الأندلسي الموحدي.

وفي الفصل الثالث استعرضنا أثر الحسبة على المجتمع في العهدين أخلاقيا واجتماعيا وقد ركزنا على مدى إلتزام المجتمع بقواعد الحسبة وأهم المؤلفات الحسبية التي استوحاها الفقهاء من الواقع وصولا في نهاية المطاف إلى خاتمة بينا فيها أهم النتائج والإستنتاجات التي خرجنا بها حول موضوع هذه المذكرة.

أما بالنسبة للمصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في إنجاز هذا العمل فهي كثيرة ومتنوعة نذكر منها:

- كتاب " ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب" تضمن هذا الكتاب ثلاث رسائل مهمة عن موضوع الحسبة من خلال :

- رسالة ابن عبدون "في القضاء و الحسبة "(ت ق 5هـ) حيث استعنا بها في الفصل التمهيدي في الحديث عن شروط و آداب متولي الحسبة، كما استفدنا منها في الفصل الأول في عرض فكرة الحسبة عند المرابطين و كذا إبراز مظاهر تفعيل خطة الحسبة في الأندلس خلال الحقبة المرابطية أما في الفصل الثالث فقد ساعدتنا هذه الرسالة على تحليل الأثر الأخلاقي للحسبة في زمن المرابطين و الموحدين، و على بيان حدود التزام المجتمع بقواعد الحسبة و مدى ارتباط مؤلفات الحسبة بالواقع الاجتماعي في الأندلس.

- رسالة ابن عبد الرؤوف"في آداب الحسبة و المحتسب" (ت ق 6هـ) ولا تختلف هي الأخرى عن رسالة ابن عبدون في الإستفادة حيث كان لها حضور بارز في الفصل الثالث من خلال ما أتاحته من معلومات وضحت لنا العلاقة بين مؤلفات الحسبة و السياق الاجتماعي للأندلس.

-" رسالة الجرسيفي في الحسبة" وقد شكلت مصدرا مهما في الفصل الأول لاسيما عند الحديث عن فكرة الحسبة عند المرابطين والحسبة في المغرب، كما اعتمدنا عليها في الفصل الثالث.

- السقطي المالقي كتاب "في آداب الحسبة" (ت ق 6 هـ)الذي تمكنا من خلاله من التعرف على عمل المحتسب في محاربة مظاهر الفساد و الإنحراف الخلقي في الفصل الأول.

- البيدق كتاب"أخبار المهدي ابن تومرت"(ت 558هـ) الذي اعتمدنا عليه في الفصل الثاني من خلال تتبع المشروع الإصلاحي لابن تومرت في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

– عصمت عبد اللطيف دندش كتاب" الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين" الذي أمدنا بمعلومات قيمة في عرض الحسبة في المغرب و مكونات المجتمع الأندلسي، رغم تركيزه العام على الجانب السياسي أكثر من الاجتماعي.

– حسين مؤنس كتاب" فجر الأندلس" الذي قدم لنا صورة عن المجتمع الأندلسي، غير أن محدودية الفترة الزمنية التي يغطيها تجعله مرجعا تمهيديا لا أكثر.

وغيرها من المراجع كما اعتمدنا كذلك على مجموعة من المجلات التي تضمنت مقالات لها علاقة بموضوع البحث امتازت بمادة علمية ثرية من أهمها:

– مجلة العلوم الإنسانية لمحمد عبد الله المعموري بعنوان "الحسبة في الأندلس".

و عندما كنا بصدد انجاز هذه المذكرة اعترضتنا جملة من الصعوبات نذكر من أهمها:

– صعوبة التحكم في المادة العلمية بسبب تفرقها بين الكتب وكيفية توظيفها فيما يخدم موضوع بحثنا بالإضافة إلى قلة المصادر المتخصصة بتطبيقات خطة الحسبة في الأندلس في العهدين.

وعلى الرغم من الجهود التي قدمناها إلا أن العمل لا يخلو من بعض النقص فالكمال لا يتحقق إلا بفضل الله وحده، ما تحقق من توفيق وصواب فهو بفضل الله ورعايته وحده أما ماساب العمل من نقص فهو نيجة تقصير منا.

الفصل التمهيدي: الاطارالمفاهيمي والسياسي

المبحث الأول: نشأة الحسبة وتطورها في الأندلس

المبحث الثاني: الأندلس في عهد المرابطين والموحدين

الحسبة هي مفهوم إسلامي يتعلق بمراقبة تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية وتنظيم الحياة الاجتماعية لتحقيق العدالة والنظام العام اختلفت تطبيقاتها بين العصور والدول الإسلامية، لكنها تبقى وسيلة لضبط الانضباط الاجتماعي ومصلحة الأمة، ففي الأندلس كانت الحسبة مؤسسة أساسية نظمت الأسواق وحفظت النظام الاجتماعي حيث تطورت بشكل ملحوظ مع التحولات السياسية والادارية في عهد المرابطين والموحدين مما عزز من دورها كأدة فعالة لتحقيق الاستقرار والعدل، وأظهرت الإصلاحات التي قامت بها هذه الدول في إعادة هيكلة المؤسسات فهي جهاز إداري ساهم في حماية مصالح المجتمع و ضمان سلامته.

المبحث الأول: نشأة الحسبة وتطورها في الأندلس

الحسبة هي وضيفة رقابية إسلامية تهدف إلى حفظ الأخلاق والنظام العام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تستند مشروعيتها إلى القرآن الكريم والسنة شروطا وآدابا وقد عرفت الأندلس هذا النظام مبكرا وشهدت تطورا ملحوظا يعكس تقدمه.

أولا: تعريف الحسبة

1-1 الحسبة لغة:

الحسبة بكسر الحاء [1] تأتي على عدة معاني منها:

- المعنى الأول: طلب الأجر من الله:

الحسبة مصدر إحتسابك الأجرعلى الله تقول فعلته حسبة واحتسب فيه احتسابا والإحتساب بمعنى طلب الأجر[2] .

[1]-ابن الإخوة: معالم القربى في أحكام الحسبة،تح:محمد محمودشعبان،ط1 ،مكتب الإعلام الإسلامي للنشر المطبعي،،د ب، 1408هـ، ص23 .

[2] - ابن منظور: لسان العرب،تح:عبدالله العلي الكبير و آخرون،ج1،د ط،دار المعارف،د ب،د ت،ص867.

وفي هذا المعنى ورد الحديث لقوله عليه الصلاة والسلام:« **من صام رمضان إيمانا وإحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه** » [1] .

والحسبة من اسم الإ حتساب كالعدة من الإعتداد والإحتساب في الأعمال الصالحات وفي الحديث« **أيها الناس إحتسبوا أعمالكم فإن من إحتسب عمله كتب له أجر عمله وأجر حسبته**»[2-3].

- المعنى الثاني: حسن التدبير والنظرفي الأمر أوإحصائه:

يقال فلان حسن الحسبة في الأمر أي حسن التدبير والنظر فيه وهذا المعنى اللغوي قريب من معنى الحسبة بالمعنى العرفي [4-5] .

- المعنى الثالث: الإنكار:

إحتسب فلان على فلان أي أنكر عليه قبيح عمله وإحتسب عليه كذا إذا أنكرته عليه، ومن المستحب الذي ينكر على الناس قبيح أعمالهم[6]، وهوجزء من المدلول الشرعي لخطة الحسبة لأن الحسبة في الشرع من الخطط الدينية[7] .

- المعنى الرابع: الإختيار:

وتأتي الحسبة بمعنى التجسس، تحسب الأخبار أي تجسسها[8] .

- المعنى الخامس: الظن:

---

[1] – أبو مسلم بن الحجاج القشيري النيصبوري صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر من السنن ، ص ، 343.

[2] – ابن الاخوة: المصدر السابق، ص23 .

[3] – ابن منظور: المصدر السابق، ص867 .

[4] – ابن الاخوة: المصدر السابق،ص23 .

[5] – زينب محمود وناصر الكنعاني: مؤسسات الرعاية الإجتماعية في الأندلس ودورها في الحياة العامة،(رسالة ماجيستر)، كلية التربية للبنات، جامعة البصرة ،2022م،ص153 .

[6] – عبد الله محمدعبدالله: ولاية الحسبة في الإسلام، ط1 ،دم ،د ب، 1996م، ص 54 .

[7] – موسى لقبال: الحسبة المذهبية في بلاد المغرب(نشأتها وتطورها)، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1971م، ص 20 .

[8] – محمد عبد الله المعموري ويوسف كاظم الشمري: « الحسبة في الأندلس » ،مجلة العلوم الإنسانية، ع 10،كلية التربية صفي الدين الحلي،جامعة بابل، العراق ، 2012م ،ص87 .

ورد هذا المعنى في ثلاث مواضع من القرآن الكريم.

قالى تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجاً ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ ﴾[1].

قالى تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾[2].

قالى تعالى: ﴿ فَأَتِيهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ﴾[3] .

- المعنى السادس: الكفاية:

كأن تقول شيئ حس أي كافي ومنه قوله تعالى﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَاباً ﴾ أي كثيرا كافيا و فيه الحسيب من أسمائه تعالى بمعنى الكافي،فعيل بمعنى مفعل من أحسبني الشيئ إذا كان كفاني[4] .

2-1الحسبة اصطلاحا:

تباينت أراء الفقهاء حول تحديد مفهوم لهذا المصطلح، وتعددت تعاريفهم ونذكر منها مايلي:

- الحسبة هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكرإذا ظهر فعله وهذاحسب الماوردي، والشيرزي، وابن بسام، ابن الإخوة، في حين أضاف كل من ابن الإخوة والشيرزي على هذا التعريف وإصلاح بين الناس[5]، وهوتعريف شامل يعني دعوة الناس إلى القيام بالأعمال الصالحة مثل الصلاة والعدل وغيرها، والتحذير من الأعمال السيئة أوالمحرمة وقد ورد في القرآن

---

[1] - سورة الطلاق " الأية" 2-3 .

[2] - سورة الزمر "الأية"44" .

[3] - سورة الحشر"الأية" 2 " .

[4] - حسين شنينة: الحسبة والمحتسب في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى سقوط مدينة غرناطة، (رسالة ماجيستر)،كلية العلوم الإسلامية،جامعة الجزائر،2012م، ص6 .

[5] - الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية،تح:سمير مصطفى رباب، دط ،المكتبة العصرية، ، بيروت، لبنان، 2010م، ص260.ينظر :ابن الاخوة، المصدر السابق،ص24،الشيرزي: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، دط ،مطبعة التأيف والترجمة للنشر ،القاهرة،1365هـ، 1946م ،ص 27. ابن بسام: نهاية الرتبة في طلب الحسبة،تح:حسام السامرائي، دط، مطبعة المعارف ،بغداد،1968م ،ص10 .

الكريم الكثير من النصوص التي تحث على القيام بها لقوله تعالى﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾[1].

– عرفها ابن خلدون "الحسبة وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هوفرض على القائم بأمور المسلمين يعين لذلك من يراه أهلا له فيتعين فرض عليه ويتخذ الأعوان على ذلك ويبحث عن المنكرات ويعزر ويؤدب على قدرتها ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة"[2]. ويرى بأنها من المؤسسات التي تهتم بتنظيم شؤون المجتمع الإسلامي ووظيفة تهتم بمراقبة الأسواق والممارسات الاجتماعية.

–أما حاجي خليفة فيعرفها على أساس أنها علم فيقول" علم الإحتساب علم باحث عن الأمور الجارية بين أهل البلد من معاملاتهم التي يتم التمدن بدونها من حيث إجرائها على القانون العدل بحيث يتم التراضي بين المعاملين وعن سياسة العباد وينهي عن المنكر وأمر بالمعروف ومبادئها بعضها فقهي وبعضها أمور إستحسانية ناشئة عن رأياالخليفة" [3] .

– والحسبة في نظر موسى لقبال"نظام للرقابة على سير الحياة الاقتصادية والاجتماعية بطريقة تجعلها في إطار قواعد الشرع الإسلامي"[4]وهي وظيفة دينية من الأمور القائمة بأمور المسلمين تحمل الناس على المصالح العامة والابتعاد عن المنكرات[5] .

– والحسبة مصطلح من مصطلحات القانون الإداري معناه الحساب، ثم إكتسبت الكلمة معنى خاص هوالشرطة وأصبحت تدل على الشرطة الموكلة بالأسواق والآداب العامة، وهي نظام إسلامي شأنه الإشراف على المرافق العامة وتنظيم عقاب المذنبين، ومنصب ديني يتصل بالقضاء،

[1] – سورة آل عمران "الأية" 110 .

[2] – ابن خلدون: المقدمة،مج1،تح: كاترمير، دط، مكتبة لبنان ،بيروت،1992م،ص406 .

[3] – حاجي خليفة:كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مج 1، (الباب الخامس من باب الألف في لواحق المقدمة من فوائد) ،دط ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت، لبنان، د ت، ص15 .

[4] – موسى لقبال: المرجع السابق، ص21 .

[5] – زينب محمود: المرجع السابق، ص21 .

كما أنها وظيفة دينية قضائية عرفها التاريخ الإسلامي تقوم على فكرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خصص لها النظام الإسلامي موظف خاص[1] .

فقد جرى نعتها بكونها"واسطة بين أحكام القضاء وأحكام المظالم يحتاج موليها لأن يجمع بين نظر شرعي وزجر سلطاني"[2] .

وتعتبر مهمة الحسبة موضوعة للرهبة والنظر فيها موضوع لما رفه عنه القضاة، ولذلك كانت أخفض من رتبة المظالم، وهي من القواعد الدينية وقد كان أئمة الصدر الأول يباشرونها بأنفسهم لعموم صلاحها وجزيل ثوابها[3] .

ثانيا:مشروعية الحسبة:

الحسبة نظام اسلامي شرعي يعنى بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، وتهدف إلى حفظ النظام العام وصيانة القيم الأخلاقية في المجتمع و قد ثبتت مشروعيتها في الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

1-2 في القرآن الكريم:

تأتي مشروعية الحسبة في القرآن الكريم في سياق تشجيع المسلمين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهومبدأ أساسي في الشريعة الإسلامية، وقد دلت على ذلك العديد من الأيات القرآنية قالى تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[4].

[1] – ابن الإخوة: المصدر السابق،ص23 .

[2] – لخضر بولطيف:فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في المغرب الإسلامي، دط، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر،2015 م،ص343 .

[3] – الماوردي: المصدر السابق، ص،ص 262-268 .

[4] – سورة آل عمران" الأية "104 .

فالأمر بالمعروف هكل ما أمرالله به من طاعات وعبادات وأخلاق فاضلة، وأما المنكر هكل ما نهى الله سبحانه وتعالى عنه من معاصي ومنكرات وهذا إرشاد من الله للمؤمنين أن يكون منهم جماعة متصدية للدعوة إلى سبيله وإرشاد الخلق إلى دينه[1] .

2-2 في السنة النبوية:

الحسبة مسؤولية تقع على عاتق المسلمين وخاصة القائمين على الشؤون العامة مثل الحكام والأمراء، وقد ورد في السنة النبوية العديد من الأحاديث التي تحث على هذا المبدأ والقيام به وأبرزها:قوله عليه الصلاة والسلام: «**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»[2] .

وهنا يوضح الحديث ويحث المسلمين على عدم التساهل مع المنكرات في المجتمع ولكن مع مراعاة القدرة على التغيير.

وقال علية الصلاة والسلام: « **والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أوليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**»[3] .

وبهذا يتضح لنا أن الحسبة تقوم على أسس وركائز متينة في الإسلام هي كتاب الله والسنة النبوية وإجماع الأمة وهذا كله مما يؤكد على أهميتها وفضلها[4] .

---

[1] – عبد الرحمان ابن ناصرالسعدي:تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان،تح: عبد الرحمان ابن معلا اللويحق، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2002م، ص 142 .

[2] – النووي: صحيح مسلم النووي،ج2، دط، المطبعة المصرية بالأزهر ، مصر،1929م،ص22 .

[3] – الترميذي:الجامع الكبير،تح:بشارعواد معروف،مج4،د ط، دم، دت، دس، ص 368 .

[4] – فريدة حسن طه ظاهر:الرقابة على السلع والأسعار في الفقه الإسلامي، (رسالة ماجيستر) في الفقه والتشريع، كلية الدراسات العليا،جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين،2011م،ص95 .

ثالثا:شروط وآداب متولي الحسبة:

1- المحتسب:

عرفه ابن الإخوة بأنه" إمام للمجتمع الإسلامي للنظر في أحوال الرعية والكشف عن أمورهم ومصالحهم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر"[1] .

وهومن كان يتولى منصب الحسبة أي يقوم بخطة الحسبة بتولية السلطان له ضاربا له أجر من بيت المال[2]، ولقب بعدة تسميات منها: والي الحسبة، وولي الحسبة، ومتولي الحسبة[3]،كما نجد عند ابن سهل: ولاة السوق، صاحب الحسبة، صاحب السوق،والمشرف على السوق والعامل على السوق[4] .

،كان يلقب بالشيخ أيضا[5] .

2- شروط متولي الحسبة:

ذكر العلماء لصاحب هذه المهنة شروطا وآداب ينبغي له أن يتحلى بها:

1- يجب أن يكون المحتسب رجلا عفيفا خيرا ورعا عالما غنيا نبيلا عارفا بالأمور، محنكا فاطنا، لايميل ولا يرتشي[6].

---

[1] – الماوردي: الرتبة في طلب الحسبة، تح:مركز الدراسات الفقهية والإقتصادية أحمد جابر بدران، ط1، دار الرسالة، القاهرة،2002م،ص64.ينظر:ابن الاخوة، المصدر السابق،ص25 .

[2] – ابن عبدون: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة و المحتسب ، مج 2 ، تح :ليفي برفنسال ، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية ، القاهرة ، 1955م ، ص ،20.

[3] – إبراهيم ابن حليمة:نظام الحسبة في المغرب والأندلس في فترة المرابطين والموحدين، (رسالة ماجيستر)،كلية العلوم الإسلامية قسم اللغة والحضارة العربية الإسلامية،جامعة الجزائر1، 2012م ،2013م ،ص 68 .

[4] – ابن سهل ابن عبد الله الأسدي:الإعلام بنوازل الأحكام المعروف بالأحكام الكبرى،ج1،تح:نورة محمد عبد العزيز التويجري، ط1، دم ،د ب،1995م،ص28 .

[5] – ابن الإخوة: المصدر السابق،ص25 .

[6] – ابن عبد الرؤوف القرطبي: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب،مج2،تح: ليفي بروفنسال، دط ،مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية،القاهرة،1955م،ص21 .

2- أن يكون حرا عدلاذا رأي وصرامة وخشونة في الدين وعالم بالمنكرات الظاهرة[1] .

3- الإسلام: يشترط في القائم بالحسبة أن يكون مسلما لأن الحسبة من الواجبات الدينية التي يراد بها نصرة الدين وإعلاء كلمة الاسلام.

4- ويجب على المحتسب أن يعمل بما لا يعمل ولا يكون قوله مخالفا لفعله[2] .

5- أن يتبع اللين من غير ضعف والشدة من غير عنف[3] .

3- آداب المحتسب

1- أن يكون خالص النية ويتجنب في رياسته منافسة الخلق والمفاخرة، لينشر الله تعالى عليه رداء القبول ويقذف له في القلوب مهابة وإجلالا.

2- ينبغي للمحتسب أن يكون مواظبا على سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قص الشارب ونظافة الثياب وتقصيرها والتعطر بالمسك ونحوها، وجميع سنن الشرع ومستحباته فان ذلك أزيد في توقيره وأنفى للطعن في دينه.

3- أن يكون من شيمه الرفق ولين القول وطلاقة الوجه وسهولة الأخلاق عند أمره للناس ونهيه.

4- أن يتخذ له سوطا ودرة وطرطورا، أما السوط فيخذه وسطا لا بالغليظ الشديد ولا بالرقيق اللين،أما الدرة فتكون من جلد البقر أوالجمل محشوة بنوى التمر،أما الطرطور فهوغطاء للرأس طويل دقيق من أعلى،ويتخذ غلمانا وأعوانا فان ذلك أرغب لقلوب العامة وأشد خوفا[4] ويكون مشرفا على مراقبة الأسواق من تطفيف المكيال والميزان والغش في الصناعات[5].

---

[1] – الماوردي: الأحكام السلطانية: المصدر السابق،ص261 .

[2] – ابن بسام: المصدر السابق،ص11. ينظر: محمد كمال الدين إمام:أصول الحسبة في الإسلام، ط1،مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة ،1986م ،ص 63 .

[3] – السقطي المالقي: في آداب الحسبة ،مج 21، دط ،منشورات معهد الدراسات المغربية المتقدمة، باريس، دت،ص 8.

[4] – الشيرزي: المصدر السابق،ص، ص 28، 29، 30 .

[5] – ابن تيمية: الحسبة في الاسلام، دط ،مطبعة المؤيد، دب ،1318هـ، ص،17.

رابعا : الحسبة في الأندلس:

يعود مفهوم الحسبة في الأندلس إلى فترة دخول الفاتحين الأوائل إليها، حيث كان المجاهدون الذين حملوا عقيدة التوحيد ونشروها في الأراضي التي وصل إليها الإسلام يعتبرون في جوهرهم محتسبين، فقد كانوا يسعون لنيل الأجر والثواب من الله تعالى من خلال جهادهم في سبيله[1].

فالحسبة في الأندلس كانت تعرف بـ"خطة الأسوق" وكان المسؤول عليها يسمى"صاحب السوق"[2] ويتمثل دوره الأساسي في مراقبة الأسواق لمنع الغش والخداع،والتحقق من الموازين والمكاييل[3]، وكان من المعتاد أن يتخذ صاحب السوق مجلسه في وسط السوق كما كان يفعل السعيد ابن السليم عند توليه لهذه الخطة لتقريب الأحداث وتحقيق قدرة أفضل على مراقبة ما يحدث داخل الأسواق[4]، حيث كان الأندلسيون يولون اهتماما كبيرا للحسبة ويتضح ذلك من خلال قول المقري: " ولهم في أوضاع الإحتساب قوانين يتداولونها ويتدارسونها كما يتدارسون أحكام الفقه،لأنها عندهم تدخل في جميع المبتاعات"[5] ،فهذه القوانين مستمدة من الفقه لكنها تهدف إلى تنظيم وتسيير شؤون المجتمع وحمايته من الغش والفساد، فضلا عن فضح مرتكبي هذه الأفعال[6]، حيث يرى الجرسيفي بقوله " إن ديوان الحسبة من أعظم الدواوين وليس بعد خطة القضاء أشرف من خطة الحسبة"[7]،لأن الحسبة تعد بماثبة القضاء في النظام الإسلامي،حيث يقوم المحتسب بدور القاضي الإداري في مجال إختصاصه وقد يتولى مهام القاضي في حال الضرورة[8]فيتم

---

[1] – سلمى بن سلمان بن مسيفرالحسيني العوفي: الحسبة في الأندلس(92هـ/897م) دراسة تاريخية تحليلية، (رسالة دكتوراه)، كلية الدعوة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة،1420-1421هـ،ص87 .

[2] – ابن سهل : المصدر السابق، ص 28.

[3] – نفسه ، ص28 .

[4] – خالد ابن عبد الكريم بن حموالبكر: النشاط الإقتصادي في الأندلس في عصر الإمارة (316-138هـ/755-928م)، ط1 ،مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1414هـ-1993م ،ص265 .

[5] – المقري:نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ج1،تح:إحسان عباس، دط،دار صادر ،بيروت، 1968م ،ص 219

[6] – سلمى بن سلمان بن مسيفر الحسيني العوفي: المرجع السابق،ص283 .

[7] – الجرسيفي : ثلاث رسائل في آداب الحسبة و المحتسب ، مج2 ، تح : ليفي بروفنسال ، دط ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية ، القاهرة ، 1955م ، ص ،119.

[8] – موسى لقبال:المرجع السابق،ص35 .

تعيين المحتسب في الأسواق من قبل الأمير أوالخليفة الأموي،بعد مشاورة القاضي المختص في المدينة أوالمنطقة المعينة [1]، حيث يعتقد ابن عبدون أن القاضي هوالذي يعين صاحب السوق ولكن بشرط أن يستشير والي الأمر قبل إتخاذ القرار وعلل ذلك بقوله:"لتكون للقاضي حجة عليه إن أراد أن يعزله أويبقيه" وكانت أول مرة تم فيها ذكر لفظ "الحسبة"في الأندلس خلال فترة الولاة[2]، وتحديدا في سنة(116هـ734م) أثناء ولاية عقبة ابن الحجاج السلولي[3]،حيث ورد في الوثيقة التي تم إعدادها له عند توليه المسؤولية(.....وهذا عهدي إليك وأمري إليك وإسنادي إليك ما أسندت،وتفويضي إليك ما فوضت فإن تعمل به مؤثرا لرضا الله وطاعته قائما بالحسبة)[4].وعندما تأسست الدولة الأموية في الأندلس على يد عبد الرحمان ابن معاوية[5]، في عام (138-172هـ/755-788م)حيث عمل على تعزيز إستقرار دولته عبر تنظيمات إدارية،بما في ذلك إنشاء جهاز الشرطة مكون من علماء يتولى مسؤولية حفظ الأمن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[6]،بعد وفاته خلفه ابنه هشام بن عبد الرحمان[7]. (172-188هـ/788-796م) الذي

---

[1] – سالم بن عبد الله: نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، دط، مكتبة المالك فهد الوطنية، المدينة المنورة، دت، ص845 .

[2] – ابن عبدون: المصدر السابق ، ص ،20.

[3] – هوعقبة بن الحجاج السلولي مولى الحجاج تولى أمر الأندلس(116هـ/734م)استمر واليا عليها حتى سنة(121هـ734م)توفي بالأندلس،ينظرالحميدي:جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، دط ،الدار المصرية للتأليف والترجمة ،مصر،1966م،ص319 .

[4] – الخشني: قضاة قرطبة وعلماء إفريقية،مر: عزت العطار الحسيني، ط2 ،مكتبة الخانجي ،القاهرة،1994م،ص25 .

[5] – هوعبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن مروان المشهور بالداخل صقر قريش أبوالمطرف الأموي المرواني أمير الأندلس ومؤسس دولة الأمويين ولد بالشام سنة 113هـ وبويع بالامارة سنة138هـ فحكمها حوالي 34 سنة توفي بقرطبة 172هـ ، ينظر :شمس الدين الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج8 ، تح : شعيب الأرنؤوط و نذير حمدان ، ط11 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1996م. ، ص ،ص 244-254.

[6] – صالح إدريس محمد: تاريخ الدعوة الإسلامية في الأندلس(من بداية الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الرابع الهجري) ،(رسالة ماجيستر)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1414هـ،ص163.

[7] – هوهشام بن الحكم بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن الحكم بن هشام بن الداخل أبوالوليد المرواني تولى الحكم بعد وفاة والده سنة172هـ وسنه حينئذ 30سنة توفي سنة 180هـ.ينظر:الحميدي:جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس،تح:بشارعواد معروف ومحمد بشار عواد، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1429هـ-2008م،ص،ص30،29.

عمل على تدعيم هذا التوجه من خلال تطوير نظام مستقل للحسبة وتكليف دعاة ووعاظ بنشر تعاليم الاسلام والسهر على تطبيق القيم الأخلاقية في مختلف أرجاء دولته.

وكان هشام بن الحكم حريصا بنفسه على تطبيق هذا النظام لمنع الجرائم والشجار[1]، وعلى الرغم من ذلك لم تكن ملامح الحسبة في الأندلس محددة بشكل واضح إلا في فترة حكم عبد الرحمان الأوسط [2]،(206-238هـ/821-852م)،حيث قام بتحديد مهام السوق بشكل منفصل عن صلاحيات رجل الشرطة وهذا في قول ابن سعيد:"هوالذي ميز ولاية السوق عن أحكام الشرطة المسمى بولاية المدينة فأفردها وميز لواليها ثلاثين دينارا في الشهر" [3].

اذا كان الموظف يستلم راتبه الشهري من بيت المال في أغلب الأحيان[4]،ويعود السبب الرئيسي لهذا النظام الإداري الجديد إلى الإزدهار الاقتصادي الذي شهدته الأندلس في عهد عبد الرحمان الأوسط، وماتبعه من حركة اقتصادية نشطة في الأسواق مما أدى إلى إزدحامها بالبضائع والناس، الأمر الذي استدعى إنشاء إدارة مستقلة تعنى بشؤون السوق[5]،لكن يبدوأن هذا الفصل بين الوظفتين لم يستمر طويلا. إذ نلاحظ أن الأمير محمد بن عبد الرحمن.[6] الذي جمع بين منصبي الشرطة والسوق مرة أخرى، حيث كلف كل من أبي إسحاق إبراهيم بن حسين الثقفي[7]. وأبي عبد

---

[1] – صالح إدريس محمد: المرجع السابق،ص164 .

[2] – هوعبد الرحمان بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمان بن معاوية أمير الأندلس، تولى الحكم بعد والده وهوفي سن الثلاثين توفي في صفرسنة238هـ، وكان محمود السيرة، ينظرالحميدي: جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس المصدر السابق،ص30

[3] – ابن سعيد:المغرب في حلى المغرب،تح:شوقي ضيف، دط ،دار المعارف ،مصر،د ت ،ص46 .

[4] – ابن عبدون: المصدر السابق،ص46 .

[5] – خالد بن عبد الكريم بن حموالبكر:المرجع السابق،ص265 .

[6] – هومحمد بن عبد الرحمان بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمان الداخل أمير الأندلس الأموي المرواني ولد بقرطبة 207هـ بويع بالخلافة في ربيع الأول238هـ، توفي سنة273هـ.ينظر: ابن الفرضي:تاريخ علماء الأندلس،تح:بشارعواد وعواد معروف، ط1 ،دار الغرب الاسلام ،تونس، 1429هـ/2008م،ص35 .وينظر الحميدي:جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس المصدر السابق،ص30.

[7] – هوابراهيم بن حسين بن عاصم بن كعب بن محمد بن علقمة بن حباب بن مسلم الثقفي من قرطبة، قام بتطبيق أحكام الشرطة والسوق في فترة حكم الأمير محمد الذي منحه السلطة في تنفيذ قضايا القطع والصلب دون الحاجة إلى الاستئذان توفي سنة256هـ.ينظر ابن الفرضي: المصدر السابق،ص38 .والحميدي:المصدر السابق ص218 .

الله بن الحارث بن أبي سعيد[1]،بالإشراف على هذين المنصبين وظل أبوعبد الله متوليا شؤون الشرطة والسوق حتى وفاته في سنة 260هـ/873م.

وقد تطورت خطة صاحب السوق في الأندلس بشكل كبير بفضل اهتمام حكام بن أمية بها حيث اختاروا أكفاء من الفقهاء والعلماء وتجاوزت مهام هذه الخطة تنظيم الأسواق والحد من الإنحرافات الدينية إلى مواجهة المذاهب الفقهية المنافسة للمذهب المالكي ومحاربة الأفكار الضالة، ولتحقيق هذه الأهداف تم تقسيم الخطة إلى منصبين:"خطة السوق"و"خطة تغيير المنكر"[2]. ويتجلى ذلك بوضوح فيما أورده ابن حيان عند حديثه عن العمال: "وعزل حسين بن أحمد بن عاصم عن خطة السوق بحفص بن سعيد بن جابر،وقدم حسين بن أحمد بن عاصم إلى خطة تغيير المنكر"[3].وتم إنشاء هذه المؤسسة بسبب حرص الخليفة على التصدي للزحف الشيعي الباطني القادم من المغرب،والذي كان مدعوما من العبيديين الذين حاولوا نشر أفكارهم في الأندلس[4].

ولقد بدأت الحسبة في الأندلس في التوسع بشكل كبير وظلت على هذا الحال حتى نهاية عصرها وعندما سيطر النصارى على المنطقة حافظوا عليها لفاعليتها في تنظيم الأسواق و محاربة الغش[5]، وهنا يشير عبد الرحمن الفاسي في ذكره بأن الحسبة بدأت وإزدهرت في الأندلس،بحيث بدت ،كأنها تتبع قانونا ثابتا في تطورها لذلك أدرك ملوك الإسبان المسيحيون فائدة هذا النظام

[1] – هومحمد بن الحارث بن أبي سعيد أبوعبد الله القرطبي تولى وظيفة الشرطة الصغرى بعد وفاة والده وأشرف على السوق توفي عام 260هـ . ينظر:الخشني:أخبار الفقهاء والمحدثين،تح:ماريا لويسيا أبيلا ولويس مولينا،دط ،المجلس الأعلى للأبحاث العربي ،مدريد،1991م ،ص،ص 139،140.

[2] – مصطفى الهروس:المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن الثالث هجري النشأة والخصائص، دط ،وزارة الأوقاف الإسلامية، المملكة العربية،1418هـ-1997م،ص256 .

[3] –ابن حيان القرطبي المقتبس،ج5،تح:شالميتاوكورينطو،دط، المعهد الإسباني العربي للثقافة ،مدريد،1979م،ص428، ينظرمصطفى الهروس: المرجع السابق ،ص256 .

[4] – حسين شنينة: المرجع السابق،ص69 .

[5] – سلمى بن سليمان بن مسيفر الحسيني العوفي :المرجع السابق،ص284 .

الإسلامي فتمسكوا بتطبيقه،وعندما استعادوا أراض من المسلمين كانوا يحرصون على تعيين محتسب للإشراف على الأسواق"[1].

وبناء على ذلك تمثل الحسبة جزءا أساسيا من حياة المسلمين، حيث ترافقهم في جميع مجالات حياتهم، سواء الاجتماعية أوالاقتصادية أوالدينية وحتى السياسية بهدف الحفاظ على وحدة الدولة الإسلامية وتنفيذ أهداف الشريعة.

المبحث الثاني: الأندلس في عهد المرابطين والموحدين

قبل وصول المرابطين إلى الأندلس كانت المنطقة تعاني من الإضطربات السياسية بعد انهيار الدولة الأموية في سنة 422هـ/1031م،حيث تفرقت الأندلس إلى ممالك صغيرة تعرف بإسم"الطوائف"،كان كل منها في صراع مع الأخر على السلطة حيث سمحت هذه الحروب للممالك المسيحية في الشمال بتوسيع نفوذها مع تصاعد التهديد المسيحي،الأمر الذي دفع بالطوائف إلى طلب الدعم من المرابطين في المغرب الذين قادهم يوسف ابن تاشفين إلى الأندلس في عام 479هـ/1086م،حيث تمكنوا من توحيد المنطقة وفرض سيطرتهم عليها.

أولا- الأندلس تحت نفوذ المرابطين (541-497هـ/1086-1147م):

تأسست الدولة المرابطية[2]،نتيجة لإنتفاضة دينية قادها الفقيه عبد الله ابن ياسين[3]، الذي نجح في توحيد القبائل الصحراوية تحت راية إصلاحية تعتمد المذهب المالكي[4]، في بداية

[1]-عبد الرحمن الفاسي:خطة الحسبة في النظر والتطبيق والتدوين، ط1،دار الثقافة ،المغرب،1404هـ-1984م ،ص74.

[2] - الدولة المرابطية هي حركة ظهرت تدعوللإصلاح الإسلامي أسسها عبد الله ابن ياسين الجازولي في القرن الخامس هيجري، كان هدفها الأساسي هونشر الدعوة الإسلامية،اتبعت المذهب المالكي. ينظر : سعدون عباس نصر الله دولة المرابطين في المغرب و الأندلس (عهد يوسف ابن تاشفين أمير المرابطين) ، ط1 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1985م ،ص ، ص 21-30.

[3] - هوالفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي المجاهد المرابط الورع الزاهد الصوام القوام، مهدي المرابطين. ينظر :علي ابن ابي زرع الفاسي،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دط ،دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط ،1972م،ص124 .

[4] - نفسه ص 124 .

حكمها،كانت الدولة مرجعية دينية بإمتياز،حيث تولى الفقهاء إدارة شؤونها،وركزوا على شن حملات جهادية [1].

وخلال عهد يوسف ابن تاشفين[2]،شهدت الدولة المرابطية تطورا كبيرا و نموا ملحوظا في قوتها ونفوذها[3] حيث تحولت إلى قوة إقلمية كبرى في المنطقة و قد عزز ابن تاشفين سيطرته على أراضي المغرب [4].

وفي المقابل كانت الأندلس في حالة ضعف بعد سقوط الدولة العامرية في عام 399هـ شهدت الخلافة الأموية تشرذما كبيرا، حيث إنقسمت إلى طوائف تسعى للإستقلال مما أضفى إلى فترة من النزاعات الداخلية والحروب الأهلية[5]، وكذا التهديدات المستمرة من الحملات الصليبية التي كانت تسعى للقضاء على الوجود الإسلامي في المشرق والأندلس وفي هذا الإطار إستعان الأندلسيون بالمرابطين[6].

إستجاب قائدهم يوسف ابن تاشفين النداء وتوجه إلى الأندلس للقتال في سبيل الله[7]،فعلم ألفونصوالسادس بالغزوفقرر رفع الحصار عن سرقوسطة وطلب المساعدة، مما أسفر عن معركة

---

[1] – داود عمر سلامة عبيدات ،المرابطون والأندلس، ط1،دار الكتاب الثقافي، الأردن، 1428هـ-2007م، ص 38 .

[2] – أبويعقوب يوسف ابن تاشفين بن ترقنتابن ابراهيم اللامتوني الصنهاجي ،هوثاني ملوك الدولة المرابطية ،نشا على حب الجهاد داخل أسرة ملتزمة بدينها الإسلامي ،مثل باقي قبابل صنهاجة آنذاك، كما كان شجاعا وقياديا وهوصغير السن، الأمر الذي مكنه من الإلتحاق بالحركة المرابطية التي أسسها عبد الله ابن ياسين وواصل مسيرته إلا أن تولى الحكم .ينظر :شمس الدين الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج19 ، تح : شعيب الأرنؤوط ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1981م ، ص ،ص 252-254.

[3] – داود عمر سلامة عبيدات:المرجع السابق،ص55 .

[4] – يوسف أشباخ:تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج1،تر:محمد عبد الله عنان، ط2 ،مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ-1996م، ص،ص 11-31 .

[5] –نفسه : ، ص، ص 126-143 .

[6] – علي ابن أبي زرع الفاسي:المصدر السابق، ص، ص142،143.

[7] –سعدون عباس نصر الله : المرجع السابق ، ص ، ص69-75.

حاسمة في سارخاجاس بين جيش المسلمين بقيادة يوسف ابن تاشفين وجيش الصلبين بقيادة ألفونسو،وانتهت معركة الزلاقة بهزيمة ألفونسوالسادس[1].

فعاد يوسف ابن تاشفين إلى المغرب، لكن الصراعات بين الطوائف في الأندلس تجددت وإزدادت الأوضاع سوءا، فقرر التوجه نحو الأندلس للجهاد للمرة الثالثة و لكن كان عبوره هذه المرة دون طلب أستغاثة كما حدث سابقا .[2]

وفي 473هـ/1090م،عبر إلى الأندلس وتوجه إلى طليطلة، ولكنه لم يتمكن من إفتتاحها فتابع إلى غرناطة التي سلمها أميرها عبد الله بن بلقين ثم عاد إلى المغرب[3]،ورغم عودته لكنه طلب من بعض قادته التوجه نحو الأندلس لاسترجاع أراضيها من سلطة ألفونسو السادس و ضمها لمملكته.

وفي سنة 496هـ-1102م بعد سقوط دويلات الطوائف أصبحت الأندلس بيد المرابطين حيث قام يوسف ابن تاشفين بعهد الولاية من بعده لابنه علي بعد وفاته حتى يضمن دوام دولته[4].

ثانيا- الأندلس تحت نفوذ الموحدين541-668هـ/1147-1269م):

في بداية القرن السادس الهجري الذي يوافق تقريبا بداية القرن الثاني عشر الميلادي بدأت دولة المرابطين تشهد تراجعا بسبب ظهور دعوة ابن تومرت[5]في المغرب الأقصى، وسرعان ما تمكن الموحدون من القضاء على دولة المرابطين[6]، دخلوا مراكش وقتلوا السلطان إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفي في سنة 539هـ-541هـ،وبذلك أسسوا دولتهم على أنقاضها في المغرب

---

[1] - داود عمر سلامة عبيدات: المرجع السابق، ص،ص 45-47 .

[2] - سعدون عباس نصر الله : المرجع السابق ، ص 117.

[3] - داود عمر سلامة عبيدات:المرجع السابق، ص، ص 57 ،58 .

[4] -سعدون عباس نصر الله : المرجع السابق ، ص ، ص 123-146.

[5] - محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن سفيان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب إرتحل إلى طلب العلم حتى أسس دولته. ينظر، أسامة عبد الحميد حسين السامرائي: دولة الموحدين(تأسيسها،ثوراتها، تنظيماتها، عقيدتها)،دط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ،1971م ،ص ،ص39-43.

[6] - علي محمد الصلابي: صفحات من التاريخ الإسلامي (دولة الموحدين)، دط ،دار البيادق للنشر ،دب، 1998م،ص،7.

الأقصى والأندلس[1].و تعود جذورها إلى حركة إصلاحية دينية تهدف إلى إعادة الخلافة الإسلامية مع التشديد على العقيدة التوحدية وولاءها لعبد المؤمن بن علي.

فقد نجح الموحدون في تأسيسهم لحكومة قوية بتوجيه مهدوي وتفسير عقلي، ،كانت القيادة على يد المهدي ابن تومرت حتى وفاته سنة 524هـ[2]، ليخلفه عبد المؤمن بن علي[3] الذي وسع دولته لتشمل المغرب الأقصى والأندلس، ذات ثقافة ودين موحد وفق مذهب الإمام مالك[4].

وبعد وفاة عبد المؤمن بن علي سنة 558هـ/1163م[5]، تولى أبويوسف يعقوب المنصور[6] الحكم وشهدت الدولة في عهده إزدهارا كبيرا، واستمر في حكمه حتى وفاته سنة 595هـ[7] ليخلفه ابنه محمد الناصر[8]، فبدأت الدولة تشهد مرحلة تراجع نتيجة الهزائم المتوالية حتى الهزائم المتوالية حتى انتهت بسقوطها على يد حكم بني مرين سنة 668هـ-1268م[9].

---

[1] – علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 17 .

[2] – مجهول: نشأة دولة الموحدين، مرحلة ماجيستر، تاريخ المغرب والأندلس، محاضرة 6 www.uoahbar.edu.igت د 02-01-2025م.

[3] – يتصل نسب عبد المؤمن بن علي بقبيلة "كومية" التي تعتبر إحدى بطون بني فاتن الذين يجتمعون بدورهم مع قبيلة زناتة ولد بقرية " تاجرا" ،سنة 487هـ،في أيام يوسف ابن تاشفين، توفي في شهر جمادى الآخر سنة 558هـ . ينظر صالح بن قربة: عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، دط ،المؤسسة الوطنية للكتاب، ،الجزائر، 1991م ص5.

[4] – مجهول: نشأة دولة الموحدين المرجع السابق .www.uoahbar.edu.ig

[5] – محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس عصر الموحدين ج5، دط، مكتبة الخانجي، القاهرة ،2001م، ص11.

[6] – أبي يوسف يعقوب بن يوسف المنصور بالله(1199-1166م) ثالث خلفاء الموحدين، خلف والده حيث تولى الحكم حتى وفاته عام 1199م، تميز عهده ببناء المساجد، هزم ألفونصوالثامن في معركة الأرك، بعدها أخذ لقب المنصور بالله . ينظر جهاد الترباني: كتاب مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، المكتبة الشاملة، ص 315.

[7] – شمس الدين الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج21 ،تح : بشار عواد معروف و محيي هلال الرحمن ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1984م ، ص ، ص 311-319.

[8] – محمد بن يعقوب بن يوسف الملقب بالناصر، أحد حكام الموحدين، حكم عقب وفاة أبيه يعقوب المنصور لم يشهد عهده انجازات مقارنة مع عصر والده . ينظر : نفسه ، ج21 ، ص 319.

[9] – علي محمد الصلابي : المرجع السابق ، ص ،ص 220-238.

الفصل الأول:

الحياة الاجتماعية في الأندلس على عهد المرابطين وإرتباطها بالحسبة

المبحث الأول: فكرة الحسبة عند المرابطين.

المبحث الثاني: مكونات المجتمع الأندلسي وخصائصه.

المبحث الثالث: مظاهر تفعيل خطة الحسبة في الأندلس المرابطية.

كان للحسبة في عهد المرابطين دور هام في مراقبة تطبيق الأحكام الشرعية المتعلقة بالمعاملات اليومية مثل منع الغش في التجارة والرقابة على الأسعار وضمان توفير السلع الأساسية للمجتمع، حيث كان المحتسب يشرف أيضا على الأنشطة الدينية مثل مراقبة أداء الشعائر الدينية ومنع الفواحش والممارسات المخالفة للشريعة الإسلامية، ولا شك في أن وجود جاليات غير مسلمة تعيش بين المسلمين مثل اليهود والنصارى كان يأثر على النسق العام لثقافة المجتمع المسلم بفعل إحتكاك هؤلاء بالمسلمين فكانت الحسبة وسيلة للحفاظ على هوية المجتمع المسلم.

المبحث الأول:فكرة الحسبة عند المرابطين

شكلت الحسبة لدى المرابطين إحدى الآليات المهمة لترسيخ مبادئ الإسلام في الحياة اليومية ، فقد حرصوا على تطبيق هذه المبادئ من خلال نظام رقابي منظم فقد كان المحتسب يمثل السلطة الدينية و الأخلاقية التي تراقب الإلتزام بالقيم وهذا يعكس مدى إلتزام الدولة المرابطية بالدين في إدارة شؤون المجتمع.

1- التوثيق التاريخي والرصيد التراثي للحسبة :

لم تكن الحسبة واضحة المعالم في عهد المرابطين، اذ لا تقدم لنا المصادر التاريخية معلومات وفيرة حول من شغلوا هذا المنصب في تلك الفترة، ومع ذلك لايمكننا الجزم بعدم وجود الحسبة في الأندلس خلال حكم المرابطين حيث أن هؤلاء الحكام قد ورثوا نظام الحسبة كما ورثوا العديد من الأنظمة الإدارية الأخرى من الحكام الذين سبقوهم في الأندلس[1]، وفضلا عن هذا لم يرجع أهل الأندلس خلال هذه المدة إلى كتب الفقه لتنظيم أعمالهم داخل الأسواق وذلك نظرا لإهتمام كتابهم بالحسبة وإصدارهم العديد من الدراسات المتعمقة في هذا المجال[2]، وبناء على ذلك قال المقري " وأما خطة الإحتساب فإنها عندهم موضوعة في أهل العلم والفطن ولهم في أوضاع الإحتساب قوانين يتداولونها ويتدارسونها كما تتدارس احكام الفقه " [3].

[1]- محمد عبد الله المعموري: المرجع السابق، ص 94 .

[2]- نفسه، ص 94 .

[3] - أحمد المقري التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج2 ، تح :إحسان عباس ، ط1 ، دار الأبحاث ، الجزائر ، 2008م ، ص ،218.

وهنا يوضح الخزاعي أن هذه الخطة ليست مجرد فكرة فردية فحسب بل هي خطة معتمدة من قبل الأشخاص المتخصصين وفق مبادئ وقوانين محددة يتم النظر فيها بين العلماء مثل الأحكام الفقهية من أجل الحفاظ على القيم الدينية والاجتماعية[1] .

وعلى الرغم من الأثر الكبير لخطة الحسبة في تنظيم المجتمع في أثناء حكم المرابطين إلا أنه يظل محاطا بفجوة واضحة في الكتابات المتعلقة به، فقد تميزت تلك الحقبة بغياب المؤلفات التي تتناول أسس الحسب وآلياتها وتهتم بتفاصيل هذا الموضوع وفي هذا السياق ذكر المؤرخ المستشرق هوبنكنز أن هناك مؤلفين عن الحسبة تعود كتابتهما إلى فترة حكم المرابطين وأوائل حكم الموحدين وهما كتاب السقط المالقي هذا الأخير الذي عمل وفقا لهذه الخطة في مالقة وكان ذلك خلال القرن الخامس ونهاية القرن السادس الهجريين وكذا رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة وهما من أصول أندلسية كما هومعلوم[2].

في حين تتضمن رسالة ابن عبدون في بعض فصولها مايدل على التراث المرابطي في الحسبة ومن ذلك قوله في ذكرهم قائلا "يجب أن لا يلثم إلا صنهاجي أولمتوني أولمطي ..."، أي أن المسؤول عن هذه الوظيفة ينبغي أن يكون شخصا ذا مكانة اجتماعية معينة ومميزة في تطبيق الحسبة أوفرض العدالة في المجتمع[3] وذلك لأن المرابطين كانوا يتبعون المذهب المالكي وكان فقيههم ومؤسس دولتهم الشيخ عبد الله ابن ياسين يدعوإلى تعزيز الفضيلة ومحاربة الفساد، وقد قامت دولتهم على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إضافة إلى هذا تولى الفقهاء إدارة شؤون الدولة هؤلاء الذين شكلوا نخبة المثقفين في المحتمع ثم توسعوا ليشملوا الجزيرة كحماة ليصبحوا منقذين لها فيما بعد، كما أن معابر عهدهم نحوالأندلس كانت مفتوحة أمام المرتحلين وكل هذا يدل على أن نظامهم كان يتضمن بالضرورة منصب الحسبة كجزء أساسي من هيكلهم الإداري كما كان الحال عليه يومئذ في الأندلس، ومن خلال رسائل ابن عبدون والسقطي تبين أن فقه الحسبة قد انتقل من كونه مجرد نظرية إلى مجال التأليف و التطبيق العملي خلال فترة حكمه في

[1]– أحمد المقري التلمساني: المرجع السابق ، ص 218 .

[2] – كريم عاتي الخزاعي: أسواق المغرب من القرن 6هـ حتى نهاية القرن 9هـ، دط، الدار العربية للموسعات، د ب، د ت، ص209 .

[3] – ابن عبدون: المصدر السابق، ص،ص77، 78 .

الأندلس[1]، ومما أسلف ذكره تعتبر رسالة ابن عبدون مثالا بارزا يعكس أسلوب التأليف في مجال الحسبة خلال العصر المرابطي إذ توضح أن قواعد الحسبة أصبحت أحكاما محتصرة ومقننة ويضيف أنها بعيدة عن التفصيلات الفقهية [2]، ومن هذا المبدأ يتجلى أن التراث المرابطي في مجال الحسبة قد اتسم بالقلة فقد أغفلت المراجع الكتابة عن أخبار المحتسبيين بالمغرب الأقصى في عهدهم سوى ما ذكرته عن داعيتهم عبد الله بن ياسين[3] ،ويشكل كتاب الجرسيفي في الحسبة مصدرا نادرا و مهما في هذا المجال[4]، وقد يعود سبب هذه الندرة إلى :

– أن المرابطين رغم قوتهم البالغة التي جعلتهم يمتدون بنفوذهم حتى الأندلس والمغرب الأوسط إلا أن بساطتهم الصحراوية ظلت راسخة فيهم فلم يولوا اهتماما كبير بالتأليف وإشتدوا في تغيير المنكر والأمر بالمعروف في الاسواق والطرقات والأماكن العامة إلى كتب الفروع القديمة وإلى قوة شعورهم الديني العميق كما أنهم رفضوا قبول ما ورد في كتاب إحياء علوم الدين للغزالي نظرا لما يحتويه من تعقيد ولمسة فلسفية كانت بعيدة عن بساطتهم الصحراوية [5].

– من الممكن أنهم تركوا في بيئة المغرب بناء على ما تم العثور عليه في بيئة الأندلس بعض الأثار المتعلقة بالحسبة التي تم إتلافها وإخفاء معالمها ضمن الأشياء التي قام الموحدون بحرقها نظرا لشدة عدائهم لهم وإتهامهم بالتجسيم والإلحاد وهذا ما يتفق مع رأي أحد المؤرخين بقوله " وإن عصر تحرق فيه مدونة سحنون وغيرها من كتب الفقه المالكي المشهور لا يستبعد أن تحرق فيه كتب الحسبة وكانت هي الأخرى على النهج المالكي" [6]، وعند الحديث عن الحسبة نجد أنها تمثل إدارة الأعمال التي تتعلق بالرقابة على السوق والفضيلة العامة ومكافحة الفساد ومع تزايد الجدال

[1] – عبد الرحمان الفاسي: المرجع السابق، ص81 .

[2] – يحي بن عمر بن عثمان: أحكام السوق، تح ،محمود علي مكي، ط1 ،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة، 2004م،ص، 44 .

[3] – حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطي والموحدين، ط1، مكتبة الخانجي، جامعة القاهرة، مصر،1980م، ص177 .

[4] – الجرسيفي: المصدر السابق ص 120 .

[5] – موسى القبال: المرجع السابق، ص49 .

[6] – موسى القبال: المرجع السابق: ص49، ينظر القاسي :المرجع السابق، ص82 .

حول المواضيع المتعلقة بالدين والحكم الذي نتج عنه تحولات فكرية تجعل مثل هذه الكتب تتعرض للتحدي والرفض وكذا الإتلاف والتهميش خاصة عندما تتغير الأحوال الاجتماعية والسياسية [1].

كما أن كتب التاريخ العام التي إنتهت إلى الباحثين لا خير فيها عن أمرهم في طول وعرض العدوتين وهوأن التاريخ المرابطين قد تلاشى على يد الموحدين [2]، ولعل ما يؤكد نزاع الموحدين ضد المرابطين ما ذكره المؤرخ المراكشي صاحب كتاب المعجب بقوله " وإختلت حال أمير المسلمين بعد الخمسمائة إختلالا شديدا فظهرت في الأمر بلاد مناكر كثيرة " وهوفي هذا السياق يعبر عن المناكر السلبية التي ظهرت في المجتمع مثل الغش في الأسواق وعدم إحترام القيم الدينية مما أدى إلى غياب الرقابة الفعالة وتدهور الحسبة داخل المؤسسات الحكومية في تلك الفترة كونها أحد الأدوات الأساسية لضبط المجتمع مما إنعكس سلبا على الحياة الاجتماعية والدينية [3]، حيث ذكر في موضع آخر" علوسلطان النساء في دولة علي ابن يوسف واشتمال كل إمراة من أكابر لمتونة ومسوفة على كل مفسد وشرير وقاطع طريق وصاحب خمر ومخمور " وهذا نظرا لسلطة التي كانت تتمتع بها النساء زمن حكم الأمير علي ابن يوسف في دولة المرابطين حيث أشار المراكشي إلى التأثير الكبير للنساء في حياة المجتمع في نشر الفساد والفوضى بسبب النفوذ [4].

2-الحسبة عند المرابطين في المغرب:

أما الحسبة في دولة المرابطين فقد كانت هذه الدولة تقوم على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهوجوهر هذه السياسة، وقد عمل الحكام في التعاون مع الفقهاء على تطبيق هذا المبدأ بأفضل شكل وبالغوا في الإهتمام بها [5] .

---

[1] – القاسي :المرجع السابق، ص 82 .

[2] – نفسه : ص ، 82 .

[3] – المراكشي عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه: خليل عمران المنصور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت،2005م، ص426 .

[4] – عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، تح: حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، دب،1997 م، ص53.

[5] – سلمى بن سلمان: المرجع السابق، ص270، ينظر الفاسي: المرجع السابق، ص51 .

غير أنهم لم يعتمدوا نظام هذه الخطة بشكل رسمي في المغرب الأقصى كما فعلوا في الأندلس [1]، ومن هذا المنطلق تعتبر رسالة الجرسيفي الدراسة الوحيدة التي ألفت في هذا التخصص حيث شرح من خلالها ما ينبغي على المحتسب القيام به وكذا المجالات التي تتطلب منه النظر فيها، كما تطرق إلى إظهار شرف خطة هذه الوظيفة وأسند إليها تعريفا خاصا من خلال قوله " فإن ديوان الحسبة من أعظم الدواوين إذ يحتاج إلى كثير من القوانين، وليس بعد خطة القضاء أشرف من الحسبة " [2]ومن هذا القول وضح الجرسيفي أن ديوان الحسبة كان من أهم الهيئات التي كانت تؤثر بشكل مباشر في الحياة اليومية للناس ،مسؤوليتها مراقبة الأسواق والمجتمعات لضمان تطبيق الشريعة الإسلامية وفق قوانين وتشريعات لضبط العمل وهي من المهام الرفيعة بعد القضاء في حين كان أئمة العصر الأول يتولون الإشراف على هذه المهمة بأنفسهم لما لها من أهمية عظيمة وفوائد كبيرة في الدنيا والآخر حسبما ذكر الماوردي[3]، وبالإضافة إلى هذا شرح بأن تطبيقها تدهور شيئا فشيئا حتى أصبحت عرضة لتكسب وقبول الرشاوي مما نتج عنه ظهور الفساد الأمر الذي دفع بالجرسيفي إلى الكتابة في مثل هذه المواضيع مراعيا في ذلك النصيحة والإرشاد، وبين من خلال إنتاجه هذا أن الحسبة أمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقواعد مبنية على صحة الإستدلال وجودة النظر وأن فائدتها تكمن في ضبط شتات الأحوال في الأوزان والأكيال وبعدها عالج بإختصار ما يجب على ولي الحسبة القيام به من واجبات من مراقبة أنواع الغش والتدليس في الصناعات في الثمن والمثون[4].

وكان من جملة ما يناط بصاحب السوق النظر في معايش المسلمين على تفصيل في ذلك وكذا النظر في شوارع المسلمين وأسواقهم ومعاينة ما يدور فيها وستعير ما يجوز تسعيره ومراقبة أحوال الباعة وأن لايهملهم أويوكل أمرهم ،مما جعل بعض المحتسبين يطالبون بمنع ما يفعله السفلة والصبيان من الرش بالماء في الأسوق والشوارع ونهى عن اللعب بالمقارع والعصي في الطرقات حتى

[1] – السقطي: المصدر السابق، ص2 .

[2] – الجرسيفي: المصدر السابق، ص119

[3] – نفسه ،ص119 .

[4]– الجرسيفي : المصدر السابق ، ص119 ،120 .

لا يتأذى المارة [1]، وحذر من ممارسة البيع يوم الجمعة في الوقت الذي يكون فيه الإمام على المنبر وإلى جانب هذا وجب على المحتسب أن يحتاط جهده في الطهارة في الأكل واللباس وغير ذلك من التأكد من نظافة المساجد وكذا الطرقات المتصلة بها [2].

وعلاوة على هذه الواجبات تحدثت رسالة الجرسيفي في ثنياها عن الآداب العامة التي حق على صاحب هذه الخطة الإشراف عليها وفق قوانين الشريعة الإسلامية ومن ذلك منعه لإختلاط الرجال بالنساء والتبرج وإبداء الزينة وحتى كشف الرأس والشعر مع المحافظة على التقاليد المتبعة في اللباس[3]، كما تشدد الجرسيفي في منع القمارين والخمارين من دخول الأسواق وطالب بتأديبهم، حيث كان من مسؤوليات المحتسب مراقبة الطرق وصيانتها ومتابعة آداب الجلوس بها لأنها تعتبر حقا عاما للمسلمين يتعين الحفاظ عليها ،وهذا مايبرز مدى أهمية الحسبة وتنوع مجالاتها [4].

ولأن لأهل الذمة عاداتهم وتقاليدهم وجب على المحتسب أن يكون يقظا في مراقبة تصرفاتهم وأن يضمن عدم ظهور الخمر والخنزير داخل أسواق المسلمين حفاظا على نقاء المجتمع وشرائعه من كل ما يشوه قيمه، ومن المهام التي يقوم بها صاحب السوق أيضا حماية المقابر من أي ممارسات قد تضر بها وضمان صون كرامتها [5] .

وقد تمتع المحتسب في عهد المرابطين بالمغرب بصلاحيات كبيرة حيث منحت له السلطة في توجيه الناس للصلاة في أقرب المساجد مما يعكس دورا رقابيا مهما له في تنظيم شؤون الدين والمجتمع، وخول له معاقبة من أخر صلاته عن وقتها من غير عذر يبيح له ذلك ومن تهاون عنها ومنع البيع والشراء داخل المسجد وعن الكلام بها بما لا يرضي الله تعالى وغيرها من السلوكات [6]

[1] – عصمت دندش عبد اللطيف: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر طوائف الثاني (510-546هـ/1116-1151م)، ط1 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت، لبنان، دت ،ص328 .

[2] – الجرسيفي: المصدر السابق، ص،ص120 ،121 .

[3] – نفسه ، ص126 .

[4] – إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع – الذهنيات –الأولياء)، ط1، دار الطالعة للطباعة والنشر، بيروت، 1993م ،ص 99 .

[5] – الجرسيفي: المصدر السابق،ص، ص121 ،123 .

[6] – ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق، ص73 .

وفي هذا الصدد ذكر ابن عبد الرؤوف ما يناط بالمحتسب في تأدية صلاة الجمعة فقال " فإذا نودي إلى صلاة وجب على الناظر في الحسبة أن يمنع من الصلاة في الحوانيت " [1]

ومع ذلك كانت الحسبة تندرج تحت مهام القاضي حسب نظر الفاسي وموسى لقبال فكان هوالذي يمارس هذه المهمة في الأسواق ومع وصول داعية المرابطين عبد الله ابن ياسين إلى سجلماسة قام بتغيير العديد من الممارسات الفاسدة التي كانت منتشرة بها فأحرق المتاجر التي تباع بها الخمر وقضى على مظاهر الظلم والإنحراف التي فرضها زناتة على السكان واتخذ موقفا صارما ضد من يخالف أحكام الإسلام سواء كانوا من الأمراء أومن عامة الناس [2] .

وكل هذا يوضح المبادئ التي اعتمدتها دولة المرابطين في مسألة الحسبة، فقد مارسها مؤسس حركتهم وفقيههم عبد الله ابن ياسين بنفسه وإلى جانب هذا شهدت مدينة سجلماسة قيام المرابطين توافد العديد من القوافل التجارية الصحراوية فإنها بلا شك خضعت لنظام المراقبة على الأسواق ومحاربة الغش وأنواع مخالفات الأخرى، وفضلا عن ذلك مارس المرابطون هذه الخطة على نطاق واسع في بلاد الأندلس، وعلى الرغم من كل هذا يمكن القول أن خطة الحسبة في عصر المرابطين أوكلت إلى شخص يعرف بصاحب السوق يوليه القاضي ويشرف هذا الأخير على السوق والتعامل داخله، والراجح أن المحتسبين عل السوق وأعوانهم لم يقوموا بواجباتهم كما ينبغي، ولهذا شدد السقطي على وجوب قيام المحتسب بالعمل بنفسه وذلك نظرا لإنتشار الغش داخل الأسواق [3].

المبحث الثاني: مكونات المجتمع الأندلسي وخصائصه

كان المجتمع الأندلسي يتمتع بتنوع اجتماعي معقد وغني يعكس التعدد الثقافي والديني، حيث اختلطت العديد من العناصر البشرية تحت ظل الحكم الإسلامي.

[1]– ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق، ص ،57 .

[2] – موسى لقبال: المرجع السابق، ص48 .

[3] – ا لخراعي :المرجع السابق، ص، ص210، 211 .

أولا: المسلمون

1- العرب: يعد العنصر العربي من أبرز مكونات المجتمع الأندلسي وقد شكل النخبة الحاكمة والمسيطرة على شؤون الأندلس منذ تأسيس الدولة الإسلامية فيها[1]، حيث لم تكن بدايات الوجود العربي في الأندلس نتيجة هجرة جماعية كبرى بل جاءت من خلال دفعات محدودة وغير متواصلة وتشير المصادر التاريخية إلى وصول مجموعات صغيرة عرفت بالطوالع وهي جمع طالعة وكان أولها جماعة عربية كبيرة جاءت في ركب القائد موسى بن نصير كان معظمهم من القيسية واليمنية وموالي بني أمية[2] ،وفي مراحل لاحقة لم يكن تدفق العرب إلى الأندلس متوقفا حيث شهدت المنطقة قدوم مجموعات مختلفة ومن أبرزها القوة التي وصلت بقيادة بلج بن بشير القشيري سنة 124هـ والتي عرفت فيما بعد بجماعة الشامين رغم أن بعض المصادر تبالغ في تقدير عددهم بعشرة ألاف[3]،ومع تأسيس الإمارة الأموية في الأندلس بقيادة عبد الرحمن الداخل بدأ وفود العرب الأمويين وأنصارهم بالوصول وتبعهم بعدها قبائل من القيسية واليمنية الأندلس للإستقرار فيها.

و بخصوص هذه الفئة لم تذكر لنا المصادر التاريخية أرقاما دقيقة بشأن أعداد العرب الذين دخلوا الأندلس وقد دخل معظمهم دون نسائهم فإتخذوا من نساء البلاد زوجات وانتشر هذا الأمر تدريجيا حيث صرح المؤرخ حسين مؤنس بأنه المكون الوحيد الذي قدره ابن حزم وأحصاه في كتابه جمهرة أنساب العرب[4]، ومن خلال ما تم ذكره يظهر لنا أن العرب كانوا يتمركزون في المدن وأن إستيطانهم كان كثيفا في المناطق الجنوبية من الأندلس وعلى رغم من أن العديد من العرب من مختلف الأقاليم قد استقروا بالأندلس إلا أنهم ظلوا يشكلون أقلية وسط تنوع بشري هائل وذلك لأن هجرتهم نحوالأندلس لم تكن كثيفة حيث يشير أحد الباحثين أن أوضاعهم الاقتصادية كانت جيدة[5]، وعرف عنهم أنهم قوم يحسنون التعامل مع الآخرين في العلاقات الاجتماعية فأمن الناس

---

[1] – حسن يوسف دويدار: المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (466-138هـ/755-1030م)، ط1،مطبعة الحسين الإسلامية، جامعة الأزهر،1994م ،ص14 .

[2] – حسين مؤنس: فجر الأندلس (دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية(711م-756م)، ط1،دار المناهل للنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان ،2002م ،ص400 .

[3] – حسن يوسف: المرجع السابق، ص15 .

[4]– حسين مؤنس: المرجع السابق، ص 408 .

[5] – خالد بن عبد الكريم بن حموالبكر: المرجع السابق ،ص، ص50 ،51 .

إليهم واقبلوا عليهم[1]، شغلوا أنفسهم بأمور الحكم والإدارة والجيش وعمل البعض منهم بالحرف التي تحظى بمكانة اجتماعية رفيعة كالوزارة والإشراف على الأسواق[2]وأشارت الدكتورة عصمت دندش في هذا السياق إلى أنهم اتجهوا نحوا تولي المهن غير التقليدية مثل تدريس العلم وإمامة المسجد إلى جانب تولي مسؤوليات الحسبة كما تأثروا بلغة أهل البلاد المحلية اللغة العجمية أواللطنية كما يصفها ابن حزم [3].

2- البربر:

أطلق العرب مصطلح البربر على الشعوب التي كانت تقطن السواحل الإفريقية وذلك بسبب إختلاف لغتهم عن اللغة العربية وعدم فهمها وبناء على ذلك فإن التسمية لم تكن مرتبطة بميزات جسدية أوعرقية بل كانت ناتجة عن الفارق اللغوي[4]، كان البربر يشكلون العنصر الثاني في تركيب المجتمع الأندلسي وقد أدوا دورا بارزا منذ الفتح وحتى سقوط الأندلس ويمكن أن نميز في هذا المركب بين ثلاث فئات:

- **الفئة الأولى**: دخلت هذه الأخيرة خلال فتح الأندلس ثم إندمجت تدريجيا في النسيج الاجتماعي لتصبح بعد ذلك قوة عددية فاعلة ساهمت في بناء الحضارة الأندلسية وإزدهارها.

- **الفئة الثانية**: وهي الفئة التي جلبها الحاجب ابن المنصور بن أبي عامر وقد أدوا دورا حاسما في دعم إنجازاته العسكرية والتاريخية إلا أنهم حافظوا على هويتهم الخاصة من حيث اللباس واللغة دون أن يندمجوا في المجتمع الأندلسي .

- **الفئة الثالثة**: تشكلت هذه الفئة بإستدعاء أهل الأندلس لبربر صنهاجة الملثمين قصد الإستعانة بالمرابطين.

---

[1] - حسين مؤنس: المرجع السابق،ص،ص408، 409، 410 .

[2] - جهاد غالب مصطفى الزغلول: الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة،(رسالة ماجيستر)، كلية الدراسات العليا ،الجامعة الأردنية ،1994 م،ص 192 .

[3] - عصمت دندش: المرجع السابق، ص283، ينظر حسين مؤنس ،المرجع السابق، ص419 .

[4] - حسن يوسف دويدار: المرجع السابق، ص23 .

تعزز هذا العنصر مع دخول المرابطين إلا أنه ظل بعيدا عن باقي مكونات المجتمع الأندلسي محافظا على خصوصيته[1]، وقد فضلوا الإستقرار في المناطق الجبلية من الأندلس وذلك لما وجدوه من تشابه في نمط الحياة التي كانوا يعيشونها وتمركزوا بها بأعداد كبيرة تفوق تلك التي وفدت من العرب نظرا لقرب منازلهم في شمال إفريقا وما تتمتع به الأندلس من ثروات اقتصادية وافرة ويشير المقري إلى أن عبد الرحمان بن معاوية كان حريصا على استقدامهم من المغرب ليلحقهم في خدمته فكان يبالغ في الإحسان إليهم[2]، تميز هذا المكون بمجموعة من الميزات والأخلاق وقد ذكرها ابن خلدون في قوله"بعز الجوار وحماية النزيل ورعي الأزمة والوسائل والوفاء بالقول والعهد والصبر على المكاره والثبات في الشدائد وحسن الكلمة والرحمة بالمسكين وبر الكبير ....."[3].

وقد أمدنا ابن حزم من خلال كتابه جمهرة أنساب العرب بمعلومات ثمينة تسلط الضوءعلى الهجرة البربرية إلى الأندلس حيث تشير شواهد متعددة إلى أن البربر كانوا من أوائل الشعوب التي وطئت أرض الأندلس وساهمت في تشكيل نسيجها السكاني[4].

3- المسالمة والمولدون:

وأثناء التحدث عن هذه الفئة من السكان الأصليين من الضروري أن نميز بدقة بين مفهومي المسالمة والمولدين إذ لا يصح الخلط بينهما فالمسالمة أوالأسالمة أوأسالمة هم أولئك الذين دخلوا الإسلام من بين السكان الإسبان، أما بالنسبة للمولدين فهم فئة لها خصائصها وخلفياتها المختلفة وقد أولى المؤرخون أهمية خاصة لهذا التمييز وضبطوا أصلها[5]، فهم الأفراد المنحدرين من الإسبان الذين إختاروا الخضوع للفاتحين ودخلوا الإسلام دون التخلي عن ديارهم ،وقد جمعت هذه الجماعة بين أصول وأعراف مختلفة من مثل الروم والجلالقة والقشتاليون والأرغوانيون.

---

[1]- عصمت دندش: المرجع السابق ،ص260 ،261، 454 .

[2] - خالد بن عبد الكريم بن حمو: المرجع السابق، ص58 .

[3] - حسن يوسف دويدار: المرجع السابق ، ص 27 .

[4] - حسين مؤنس: المرجع السابق، ص420 .

[5]- خالد بن عبد الكريم: المرجع السابق، ص59 .

كان المؤرخون العرب يطلقون على هذه التسمية إسم "مسلماني" " جمع " مسالمة " ويعرفون أحيانا بـ" المسالمة "[1]، الذين كان إسلامهم حديث، فيما يختلف آخرون في أرائهم تماما بأن المولدين هم ثمرة التزاوج الذي حدث بين رجال العرب أوالبربر والنساء الإسبانيات وفي المقابل يعتقد آخرون أنهم أبناء المسالمة وهم الذين دخلوا الإسلام من الإسبان واستنادا إلى ما سبق فإن المولدين هم الذين نشأوا في الإسلام وهي كلمة تشير إلى فئة واسعة تضم كل من ينحدر من أصول إسبانية سواء من جهة الأب أوالأم أوالإثنين معا [2]، اتخذوا لانفسهم أسماء عربية بدافع الرغبة في إنكار أصولهم أحيانا واندمجوا في الأسر العربية نتيجة الزواج المختلط واحتفظوا بالألقاب والكنى التي فشلوا في ترجمتها إلى العربية واستعملوها بين عائلتهم مثل بنوقسي حيث حمل الكثير منهم أسماء تحولت من اللاتينية إلى العربية مثل فليكس أصبح سعيد أوفكتور صار زهير، واتخذوا الأسماء المقدسة فأصبحت أسماء موسى وهارون وعيسى تقابل مويز ورون والمسيح [3]، ولعل من بين السيمات التي ظهرت عند هذا العنصرفي تلك الحقبة كان إنتشار اللغة العجمية أواللطينية كما يطلق عليها المؤرخون العرب بين الأندلس أومايعرف باللغة الرومانية الإسبانية الحديثة اللغة التي استعملها سكان شبه الجزيرة من قبل [4]، كانوا في البداية قلة لكن سرعان ما تكاثروا تدريجيا حتى أصبحت هذه الطبقة أكثر إنتشارا مع مرور الوقت وذلك نظرا لتأثرهم بمبادىء الإسلام[5]، ويشير المؤرخون أنهم لعبوا دورا محوريا في تعزيز الحياة العامة وكذا توحيدها نحوالأفضل[6] .

تمركزت هذه الفئة في الحواضر الكبرى لشبه الجزيرة الإبيرية مثل قرطبة، وتوضح لنا الدراسات التاريخية أن المولدين كانوا يشكلوا العنصر الغالب بعد العرب في المدن المهمة إذ شغلوا في المناصب

[1] – عصمت دندش: المرجع السابق، ص 249 .

[2]– خالد بن عبد الكريم: المرجع السابق، ص60 .

[3] – عصمت دندش: المرجع السابق، ص،ص251، 252 .

[4] – حسن يوسف الدويدار: المرجع السابق، ص45 .

[5] – خالد بن عبد الكريم: المرجع السابق، ص 62 .

[6] – إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دط،دار الطليعة لطباعة والنشر، بيروت، دت،ص44 .

الجيدة في عهد أمراء بني أمية مثل الوزارة، لكن رغم إندماجهم في المجتمع الإسلامي إلا أنهم وجدوا صعوبة في التكلم بالعربية [1] .

4 – الموالي:

تكونت طبقة الموالي في الأندلس من عناصر ذات خلفيات عرقية متنوعة وقد تلاقت هذه المكونات فيما بينها إذ تعود أصول هذه الفئة إلى جهات متعددة من أبرزها الأصل البيزنطي الذي يرجع إليه أصل هؤلاء الموالي الذين دخلوا الإسلام في المشرق، ويبدوا أن هذه الفئة كانت قليلة العدد مقارنة مع باقي الفئات السكانية لكن شهد عددها تزايدا ملحوظا خلال عصر الإمارة والعصور التي لحقتها[2]،وبخصوص هذا الأمر ذكر المقري أن نسبتهم في الأندلس كانت تتراوح ما بين الأربعمائة والخمسمائة، استقر هؤلاء الموالي في مناطق متفرقة من الأندلس ،وتمكنوا من تحقيق نفوذ سياسي واجتماعي بين بقية السكان وذلك نظرا للظروف التي عاشتها الجالية العربية في هذه البلاد ،وهومامنحهم القدرة على ترسيخ وجود اجتماعي بارز ضمن كيان جماعي[3].

ومن بين المهن التي مارسوها الحجامة والإعتناء بمراسم دفن الموتى ،كذا معالجة المرضى ورعايتهم والإهتمام بالمساجد[4]، وبسبب الوضع الاجتماعي لهم انضمت إليهم العديد من العناصر السكانية مثل المولدين وإلى جانب هذا اشتغلوا في مناصب ووظائف عديدة في جهاز الدولة[5].

،كان الموالي يعتقدون أنهم عرب وينحدرون من سلالات عربية وقد ذكر ابن حيان في هذا الشأن أن البعض من موالي الخلفاء الأمويين أطلقوا على أنفسهم أسماء عربية غير أن عبد الرحمن الداخل أنكر عليهم ذلك بفضل أنانيته، حتى أن هناك من الأسر الإسبانية من اتخذوا أسماء إسلامية ينادون بها مثل محمد وأبي بكر وغيرها [6].

---

[1] – خالد بن عبد الكريم: المرجع السابق، ص 63، 68 .

[2] – نفسه ، ص،ص 68، 69، 70 .

[3] – خالد بن عبد الكريم : المرجع السابق ،ص،ص 72، 73 .

[4] – عصمت دندش: المرجع السابق، ص283 .

[5] – خالد بن عبد الكريم: المرجع السابق، ص74 ،75 .

[6] – حسن يوسف دويدار: المرجع السابق، ص ،ص32، 33.

5 – الصقالبة :

الصقالبة يعدون من الفئات السكانية الهامة في الأندلس ولقد أدوا دور بارز في تركيبة المجتمع الأندلسي[1]، كان هذا مصطلح يطلق خلال القرن الرابع الهجري بالأندلس على الرقيق الذين تم جلبهم من أوروبا [2]، وقد أفاد ابن حوقل في مصنفاته بأن الصقالبة ينسبون إلى نسل "يافث"، حيث استقر في الوعي الأندلسي وعلى فترة زمنية ممتدة أن هذه التسمية تطلق على إحدى قبائل الروم، في حين يرى مجموعة من المؤرخين المعاصرين أن أصل هذه الكلمة يعود إلى أصول فرنسية قديمة والتي تعني عبد أورقيق وهي تسمية نعتهم بها الجغرافيون العرب أثناء العصور الوسطى للإشارة إلى فئة معينة من الأفراد الذين كان ينظر إليهم كأسرى أوخدم[3] .

وتظهر المصادر العربية إلى أن مصطلح الصقالبة كان يطلق على العبيد الذين تم جلبهم من الأراضي السلافية وقد استخدمت لهم ألقاب متنوعة مثل الفتيان والخلفاء والخرس والخصيان والمجابيب وهي نعوت تتردد كثيرا في النصوص التاريخية الأندلسية، أما سبب تسميتهم بالخلفاء فلأن هذه التسمية كانت تطلق على أكابرهم في حين أطلق عليهم لقب الخرس نظرا لعدم إلمامهم في البداية بلغة أهل البلاد واعتبروا بأرسقتراطية العبيد بسبب مكانتهم في المجتمع[4]، وعليه فإن الصقالبة يمثلون خليطا بشريا متنوعا تشكل من عناصر جلقية وألمانية وإيطالية إلى جانب جماعات آخرى قدمت من مناطق متعددة من بلاد أوروبا الوسطى والجنوبية [5]، وكان معظمهم يجلبون إلى الأندلس وهم في سن صغير خاصة من حوض نهر الدانوب وبلاد الفرنجة غير أنهم يربون تربية منظمة ثم تطور دورهم تدريجيا ليشمل الخدمة في الحرس والحاشية والجيش الأمر الذي أدى إلى تزايد أعدادهم الذي تجاوز الخمسة عشر ألف في قرطبة وحدها وهذا حسب رأي المؤرخين المعاصرين ،كانت عملية نقلهم إلى الأندلس تتم عادة من خلال شبكات التجارة أوعبر

---

[1] – خالد بن عبد الكريم بن حموالبكر: المرجع السابق، ص76 .

[2] – حسن يوسف دويدار: المرجع السابق، ص51 .

[3] – إبراهيم القادري بوتشيش :مباحث في التاريخ الاجتماعي المرجع السابق، ص45، ينظر، خالد بن عبد الكريم بن حموالبكر، المرجع السابق، ص77 .

[4] – عصمت دندش: المرجع السابق، ص258 .

[5] – خالد بن عبد الكريم: المرجع السابق ، ص77 .

الحملات العسكرية [1]، فقد كان الخصيان من الصقالبة يباعون بأثمان مرتفعة وهذا ما أكده ابن حوقل من خلال قوله:" وجميع من على وجه الأرض من الصقالبة الخصيان من جلب الأندلس لأنهم عند قربهم منها يخصون ويفعل ذلك بهم تجار اليهود "[2].

وقد تميزوا بعدة صفات أسهمت في بروز دورهم داخل المجتمع الأندلسي منها ما ذكره الجاحظ حيث قال " والحصى أجود خدمة وأفطن لأبواب العطاء والمناولة وهوبها أنفق ولها أليق ونجده أيضا أذكى عقلا عند المخاطبة "[3] الأمر الذي مكنهم من إكتساب مكانة بارزة ضمن البنية الاجتماعية في تلك المرحلة.

ونظرا للظروف الاقتصادية التي كانت تتمتع بها هذه الفئة ارتقى نفوذهم في عهد الأمير عبد الرحمان بن الحكم إلى مستويات عالية في مركز الحكم حيث كانت لهم أراؤهم السياسية في الأحداث الداخية وعلى الرغم من إسلامهم وإتقانهم للغة العربية [4]، إلا أنهم احتفظوا بجزء من ثقافتهم الأصلية و أسهموا في نقلها إلى المجتمع الأندلسي .

هذا ويشير أحد المستشرقين الإسبان أن الصقالبة كانوا يمثلون العنصر الأوربي في المجتمع الأندلسي وعن طريقهم انتقلت بعض الصور الشعرية التي شاعت في الأندلس إلى البيئات الأوروبية وأثرت فيها ويبدوأن الصقالبة كانوا يعتقدون بأنهم يشكلون فئة متميزة لذالم يختلطوا كثيرا مع الآخرين بل حرصوا على الحفاظ على هويتهم المستقلة مما عزز فيهم مشاعر التفوق العنصري أكثر من غيرهم [5].

[1] – حسن يوسف دويدار: المرجع السابق ، ص53، ينظر، عصمت دندش، المرجع السابق، ص258 ،خالد بن عبد الكريم المرجع السابق، ص 77 .

[2]– حسن يوسف دويدار : المرجع السابق ، ص ، 53.

[3] –حسن يوسف دويدار : المرجع السابق ، ص، 54 .

[4] –خالد عبد الكريم بن حموالبكر: المرجع السابق، ص 79، 80 .

[5] – حسن يوسف دويدار: المرجع السابق، ص 58 .

ثانيا: غير المسلمين

1 – النصارى:

أطلق المسلمون على الفئات التي تمسكت بدينها القديم إسم "النصارى" كما استخدموا تسميات آخرى يرتبط بعضها بسياق تاريخي معين لا يمكن فصلهاعنه وهذه التسميات هي: مشركون، كفرة، ملحدون، علجوم الروم، عبيد، مسحيون، ذمة أي أهل الذمة وذميون ونصارى الذمة، عجم وأعاجم وعجمة، معاهدون ومعاهدة وأهل عهد، مستعربون حيث تختلف هذه التسميات بين عهد وآخر فالمسميات الثلاثة الأولى كانت تطلق في مناسبات معينة وهي تسميات تتسم بالطابع الديني وهناك مسميات آخرى تحمل طابعا عرقيا مثل الروم [1]، يشكل النصارى جزء كبيرا من إجمال السكان في الأندلس وقد انتشروا في معظم مدنها وقراها حيث وجد عدد كبير منهم في قرطبة ،كان الأصاقفة يشرفون على أمورهم الدينية .

استقطبت طليطلة نسبة كبيرة من هذا العنصر ويؤكد المؤرخ بروفنسال أن معظم أهلها لم يتخلوا عن عقيدة الروم الكاثوليك، كما تمركز قسم منهم في برشلونة ويظهر أن أعدادهم بها كانت كثيرة كما كان الحال بالنسبة لليهود.

وقد استفاد النصارى بقسط وافر من الحرية والتسامح من قبل أمراء بني أمية حيث أتيح لهم ممارسة دينيهم بحرية [2]، عاملهم المسلمين معاملة كريمة الأمر الذي زرع في نفوس أهل الذمة أثر طيبا وعميقا وهذا ما يؤكد التسامح الديني والاجتماعي الذي حظي به النصارى من قبل المسلمين فقد ارتقى بعضهم إلى أعلى المراتب في الدولة وعلاوة على هذا تأثروا بثقافة العرب ونمط حياتهم حتى أنهم اكتسبوا بعض سماتهم ولقبوا بالمستعربون [3] .

[1] – عبادة كحيلة: تاريخ النصارى في الأندلس، ط1،كلية الآداب للنشر، القاهرة، 1993م، ص ،ص77، 78.

[2] – خالد بن عبد الكريم: المرجع السابق، ص 81، 82 .

[3] –نفسه ، ص 83، 84، 85 .

2 – اليهود :

كان اليهود يشكلون جزءا مهما من النسيج الاجتماعي في الأندلس، كعنصر سكاني غير مسلم يحتلون مكانة ثانية بعد المسلمين [1] ،قبيل الفتح الإسلامي إلا أنهم كانوا يعانون من الإضطهاد على يد الرومان في تلك الفترة مما دفعهم إلى البحث عن حماية داخل المجتمع الأندلسي فرحبت بهم الدولة الأموية كعنصر من عناصر المجتمع الإسلامي إذ سمحت لهم بممارسة كافة أعمالهم الأمر الذي شجعهم على التوافد نحوالأندلس [2] ،واستقروا فيا منذ العصر القوطي حيث تحدث المقدسي عن تواجدهم الكثير بها [3].

توزعوا عبر قرطبة وغرناطة وإشبيلية كما أدى اليهود دورا كبيرا في تعزيز قوة السلطة المركزية وترسيخ أركان الحكم الأموي وكانت مدينة غرناطة تزخر بأكبر جالية من اليهود ولهذا أسميت بـ أغرناطة اليهود [4] ،مارسوا بها أعمالهم التقلدية حيث سمح لهم المسلمون في ممارسة أحوالهم وفق أعرافهم [5].

وقد أشار الأستاذ بروفنسال على تحسن الوضع الاجتماعي لليهود وذلك نتيجة لسياسة التسامح التي سار عليها الأمويين في الأندلس حيث تقلدوا الكثير من المناصب وفي هذا السياق تقدم لنا المصادر أمثلة عن العدل الذي حضي به اليهود مما جعلهم يكنون الإحترام للفقهاء المسلمين وقضائهم [6]،اشتغلوا في البلاط الأموي وتقربوا من أمرائه ومع ذلك خضعوا لنفس المعاملة التي خضع لها النصارى المعاهدون فيما يتعلق بالتمييز بين الإسلام والحرية ،ودفعوا الجزية لبيت مال المسلمين وهنا يشير المؤرخ يوسف أشباخ إلى أن يوسف بن تاشفين كان شديد الكره لهم[7].

---

[1] – خالد بن عبد الكريم: المرجع السابق، ص95 .

[2] – حسن يوسف دويدار :المرجع السابق، ص47 .

[3] – إبراهيم القادري بوتشيش :مباحث في تاريخ الأندلس المرجع السابق، ص 92 .

[4] – خالد عبد الكريم: المرجع السابق، ص96، ينظر، حسن يوسف دويدار ،المرجع السابق، ص48 .

[5] – عباد كحيلة :المرجع السابق، ص 47 .

[6] – خالدبن عبد الكريم :المرجع السابق، ص 97، 98 .

[7] – حمدي المنعم محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دط،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1997 م، ص 337 .

وبناء على هذه الحقيقة يمكن القول أن اليهود عاشوا في ظروف صعبة خلال بداية تأسيس الدولة المرابطية، في حين استفادوا من قدر كبير من التسامح خلال فترة حكم " علي بن يوسف " ومن الملفت أن المرابطين لم يصدروا أي تشريعات خاصة باليهود تتعلق بحريلتهم أوخصوصياتهم[1] ،مما شجعهم على إعتناق الإسلام حيث لقب اليهودي إذا أسلم بمصطلح سلامي ومن أسلم عن كره سلامي، حيث لاتعطينا المصادر التاريخية معلومات ثابتة عن أسماء من أسلم منهم إلا أنها تذكر لنا جانب من العلاقة بين المسلمين اليهود التي اتسمت بنوع من المودة واتخاذهم اللباس العربي وتحدثهم بالعربية[2] ،ومما سبق يتضح لنا أن اليهود احتلوا مكانة اجتماعية مرموقة في الأندلس على غرار باقي العناصر الاجتماعية وتمتعوا بقدر من التسامح وشاكوا في الحياة الاجتماعية بفعالية[3] ،ورغم قلة المعلومات المتوفرة حول وضع اليهود ونشاطاتهم في هذه الفترة إلا أنه يمكن القول بأن الأوضاع العامة لهذه الفئة كانت مستقرة وعلى درجة جيدة.[4]

المبحث الثالث: مظاهر تفعيل خطة الحسبة في الأندلس المرابطية

شهدت مجالات الحسبة في فترة حكم المرابطين تطورا ملحوظا كما يتبين من مؤلفات العلماء القليلة في هذا المجال، ومن أبرز هؤلاء العلماء ابن عبدون التجيبي الذي تناول في كتابه " رسالة في القضاء والحسبة " مختلف المشاكل الاجتماعية والدينية التي كانت تؤثر في المجتمع في تلك الحقبة حيث قام ابن عبدون بتسليط الضوء على المنكرات التي كانت بحاجة إلى إصلاح مبينا الطرق المناسبة للتصدي لها، كما استعرض أنواعا من المخالفات التي كان يدركها فقط أصحاب الخبرة وأشار إلى بعض الظواهر التي عايشها بنفسه وبذلك كان كتابه وثيقة هامة تعكس الحالة الاجتماعية في الأندلس خلال فترة المرابطين، وساعد في فهم نظام الحسبة وأهمية الإصلاحات المطلوبة أنذاك.

[1] – إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص،ص 94، 96 .

[2] – عبادة كحية: المرجع السابق، ص،ص 47، 48، 49 .

[3] – إبراهيم القادري بوتشيش :مباحث في تاريخ الأندلس المرجع السابق، ص 98 .

[4] –خالد بن عبد الكريم: المرجع السابق ،ص 99.

1-الحسبة في المساجد وتنظيم الأنشطة الدينية فيها :

فالحسبة في المساجد تتعلق بتوجيه الناس نحوالخير والحفاظ على النظام الأخلاقي والديني داخل هذه الأماكن المقدسة، فالمساجد ليست مجرد أماكن للصلاة بل هي مراكز لتعليم القيم العليا وفضائل الإسلام ،وحفظ النظام بين الأفراد [1] ،تعد منبعا رئيسا للإسلام حيث تنطلق منها مبادىء الخير والتعاون التي تنتشر في ربوع الأرض، وفيها تعلم المسلمون معنى الأخوة والإحترام، تعتبر مكانا لتربية الأجيال التي ساهمت في فتوحات كبيرة وقد كان للمرابطين دور كبير في الإهتمام بها على الرغم من الأضرار التي لحقت بها في فترة حكم الموحدين [2]، حيث أصدر عبد المؤمن أمرا بهدم مساجد مراكش وإعادة تشييدها [3]، وبما أن المساجد تحضى بمكانة كبيرة لدى المسلمين من الضروري الحفاظ عليها وحمايتها من تصرفات غير لائقة . وقد كانت هذه المسؤولية من مهام المحتسبين الذين أولوا هذا الأمر إهتماما خاصا خلال فترة المرابطين وكان من أبرز ملامح هذه الفترة كثرة بناء المساجد حيث كانت قرطبة مركز القياد السياسية والعسكرية للمرابطين تضم في عهد المنصور بن أبي عامر نحو13.870مسجدا لكن في القرن السادس الهجري تراجع العدد بشكل كبير ليصل إلى 3.877 مسجدا فقط ،مما يعكس مدى تأثير الفتن على الأماكن الدينية عند التراجع يظهر فهم عواقب الفتن على المجتمعات ،بمافي ذلك تأثر أماكن العبادة [4]، فالمعنى المراد من هذا هوأنه نظرا لوجود العديد من المساجد أصبح من المهم تكثيف الجهود للحفاظ عليها والإهتمام بصيانتها في مختلف جوانبها.

[1] – ابن عبدون: المصدر السابق، ص21 .

[2] –محمد الأمين بلغيث: دولة المرابطين بالأندلس من مدينة السياسة إلى مدينة العلم، ط1،دار الوعي، الجزائر، دت،ص80

[3] – أشباخ يوسف: المرجع السابق، ج2، ص240 .

[4] – بن حليمة إبراهيم: المرجع السابق، ص،ص 84 ،85 .

1-1 ما يخص الأئمة والمؤذنين :

من الطبيعي أن يذكر الأئمة والمؤذنون عند الحديث عن المساجد والجوامع، فلا غنى للمساجد عنهم لذلك لم يهمل الكتاب في هذا السياق ذكرهم ،كما ورد عن ابن عبدون قوله " ويجب أن يكون فيه المسجد من المؤذنين على أبواب الجامع وزيارة إثنين، يكون واحد منهما بالقرب من الإمام، يعلن صوته من يصلي في الصحن أوالسقائف ممن هوعلى بعد ولا يسمع صوت الأول الذي هوقريب من الإمام، يكون ذلك دولة بينهم إلى يوم الجمعة فيرتب منهم على كل باب من أبواب الجامع واحد يكبر للناس بتكبير الإمام لمن يصلي في الرحاب، ويكون فيه من الأئمة ستة على عدد المعاونين ليصلي كل واحد منهم [1].

ونظرا لأن المساجد غالبا ما تتواجد بالقرب من الأسواق ،كان من الضروري أن يصل صوت الآذان وتكبير الإمام إلى أهل الحرف والصناعات فقد أشار ابن عبدون إلى أهمية هذه المسألة وذكر " يجب أن يأمر المحتسب أهل كل الصناعة أن يتخذوا يوم الجمعة منذرا يسمعهم التكبير إذا كبر الإمام"[2]، أما بالنسبة لبقية الصلوات فقد قال :"يجب أن يرتب أهل السوق منذرا يشعرهم بآذان الظهر والعصر في كل يوم، ليتأهبوا للصلاة كل يوم ،ويجتمعوا له كل يوم جمعة شيئا يستعين به في معيشته، يجبرهم على ذلك القاضي والمحتسب"[3].

وتم ذكر صلاتي الظهر والعصر دون غيرهما لأنه من المعروف أن الأسواق تفتح في النهار غالبا كما أشار ابن عبدون إلى أهمية أن يلتزم القاضي والمحتسب بإلزام أصحاب المهن بجمع بعض المال ليعينوا من ينذرهم بأوقات الصلاة على معيشته، كان الهدف من هذه الترتيبات هوضمان أداء الصلاة في أوقاتها خاصة في الأماكن التي قد تشهد إنشغالا بالنشاطات اليومية [4].

وكانت صلاة الجنائز تقام في المصلى قريبا من المسجد وقد نص ابن عبدون ذلك في قوله: "يجب أن يلصي كل يوم عند الباب الذي يصلى فيه على الجنائز مؤذن راتب لينذر عند فراغ

---

[1] – ابن عبدون، المصدر السابق، ص ،ص21، 22.

[2] – نفسه، ص 23 .

[3] – نفسه، ص 23 .

[4] – بن حليمة إبراهيم :المرجع السابق، ص 86 .

الصلاة الظهر والعصر على الصلاة على الجنائز ،ويذكر عددها وذكرانها وإناثها"[1]، والملاحظ من قوله أن صلاة الجنائز تنظم يوميا في السكان المخصص لها وتكون في وقتين صلاة الظهر والعصر ،ويجب أن تقام بشكل منتظم ،حيث يعلن عن عدد الجنائز وجنسها بعد كل صلاة والقاضي هوالمسؤول عن تنظيم وتحديد كيفية تنفيذ هذه الترتيبات لضمان الإنتظام في أداء هذه العبادة .

1-2- ما يتعلق بتعليم العلوم في المساجد :

كانت المساجد مركزا هاما للتعلم والتعليم تخرج منها العديد من العلماء، الفقهاء، القضاة، القادة، والجنود وغيرهم من الشخصيات البارزة في الإسلام، لذا اهتم الكتاب في مجالات الحسبة

بتحسين المسجد وما يجب إصلاحه في سياق التعليم، كما ذكر ابن عبدون :" ويجب أن يجلس القاضي في السقائف رجلا فقيها خيرا يعلم الناس مسائل الدين ،ويعظهم ويعلمهم الخير ويسهم له القاضي في الوصايا ،إذا وقعت ،أوالصدقات نصيبا ،أويكون مأجورا"[2] ومع ذلك لا يجوز أن يكون ذلك في أي مكان من المسجد، بل يجب تخصيص كل موضع لنوع معين من العلوم، فلا يسمح لأحد بالقراءة في الساحات إلا القرآن والسنة بينما تخصص باقي العلوم لمواضع أخرى وذكر في قوله ". لايترك أحد يقرا في البلاطات إلا القرآن والسنة وغير ذلك من العلوم في السقائف"[3]، ويعود ذلك إلى شرف العلم ،حيث يعتبر القرآن والسنة أساس العلوم يقرآن في الأماكن الرئيسية من المسجد بيمنا تقرأ فروع العلوم الأخرى في الأماكن الثانوية.

أما بشأن تسوية النزاعات والخلافات بين الناس فالمكان المناسب لذلك هوساحة المسجد وليس قاعة الصلاة أوالسقيفة حيث جاء في قول ابن عبدون" يجب للقاضي أن يجعل في كل صناعة رجلا من أهلها ،فقيها ،عالما ،خيرا ،يصلح بين الناس إذا وقع بينهم الخلاف في شيء من أمورهم، ولا يبلغون إلى الحاكم ،وهي شيء حسن جدا يحده لهم القاضي، وذلك أن يرجعوا إلى حكمه ورأيه، فهوأرفق لهم وأستر لإنكشافهم " [4].

---

[1] – ابن عبدون: المصدرالسابق، ص23 .

[2] – نفسه، ص22 .

[3] –نفسه، ص23 .

[4] – نفسه، ص24 .

ويتبين لنا من قول ابن عبدون أن الناس في فترة المرابطين كانوا يلجؤون للفقهاء لحل النزاعات والمشاكل من خلال إرشادهم في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ،وكانوا يتدخلون لحلها داخل المساجد، ويتعلمون به.

أما المحتسبون فكانوا يمنعون رفع الأصوات في المساجد إلا في قراءة القرآن، معتبرا أن إستثناء القرآن من هذا المنع ليس مبررا [1].

وأما فيما يخص تأديب الأطفال يعد من العادات المتعارف عليها منذ القدم، وقد تناول العلماء في مؤلفاتهم مسائل تتعلق بكيفية التأديب وأماكنه، ومن بين الأماكن التي كان يستخدمها بعض المؤدبين الأطفال المساجد، وهوجعله موضوعا للنقاش في كتب الحسبة، كما ذكره

ابن عبدون :" ولا يجب أن يؤدب فيها الصبيان ،فإنهم لا يتحفظون من النجاسات بأرجلهم ولا من ثيابهم، فإن كان ولابد ففي السقائف " [2].

1-3- ما يتعلق بصيانتها وإصلاح منشآتها :

من المواضع التي تناولها كتاب الحسبة هي العناية بالصيانة والترميم ،حيث أدركوا أن جميع المباني بما فيها المساجد، تتعرض للتلف بمرور الوقت وتحتاج إلى تجديد وإصلاح ،كما أشار ابن عبدون: " يجب أن يكون له بناء راتب يبحث عن إصلاح ما فيه أبدا، إذا وهن بنيان يبنيه، ولدار الوضوء كذلك أعني أن يتعاهده البناء الراتب بالإصلاح " [3].

حيث تم التوجيه بإصلاح الحفر المحيطة بالجامع بإستخدام الحصى لمنع تراكم الماء والطين، وتم تكليف الناظر المسؤول من أحباس الجامع بمهمة القيام بذلك [4]، وإن الإهتمام بأمور البناء والترميم كان من أبرز الأولويات في الماضي ،حيث إعتبر ابن عبدون أنه يجب تخصيص ميزانية ثابتة لهذه الأعمال، لكن في الوقت الحاضر تنفذ هذه الأعمال بشكل تطوعي من قبل أفراد أوعبر

[1] – بن حليمة إبراهيم: المرجع السابق، ص 88.
[2] – ابن عبدون: المصدر السابق، ص24 .
[3] – نفسه ، ص21 .
[4] – نفسه ، ص23 .

تأجير عمال ،تحت إشراف جمعيات دينية للمساجد، دون تخصيص أجور ثابتة من الجهات المسؤولة، وهذا يعكس الفرق في مستوى العناية بالمساجد بين فترة المرابطين والوقت الراهن .

1-4- خدمة المساجد والمحافظة على نظافتها وتنظيمها:

اختلف عدد عمال المساجد حسب حجمها، كما ذكر ابن عبدون في قوله: " فأما جامع إشبيلية، فلا أقل من ثلاثة ،إثنان للكنس والوقيد ،وواحد لسقي الماء "، ثم أشار إلى ضرورة توفير دابة لنقل الماء إلى المسجد يوميا ،مع تحديد من يتولى هذه المهمة، ويجب أن يتم جلب الماء إلى المسجد يوميا من وقت الظهر حتى آخر صلاة العصر [1]، وبعدها أشار إلى أهمية تنظيف مكان الوضوء في المسجد قائلا " دار الوضوء: يجب أن يؤمر أحد الكنافين أن يتعاهد بيوته كل يوم وينظفها، ويكون راتبا لذلك، ويجعل له أجرة من الأحباس " [2]، حيث أن ابن عبدون أكد على ضرورة تخصيص أجور من الأحباس للعمال في المساجد لضمان تنظيم العمل وإستمراريته ،مع محاسبة المقصرين ومع مرور الزمن أصبحنا نلاحظ تقصيرا في هذا المجال حيث يعتمد أغلب التنظيف والصيانة على المتطوعين مما يعكس حاجة ملحة للإصلاح في هذا الجانب .

ومن واجبات المحتسب أيضا تطهير ساحة المسجد من وجود الدواب ويظهر ذلك من خلال قوله "يجب للمحتسب ألا يترك في رحاب الجامع دابة واقفة: فربما راثت، فتنجس الناس وتخرج خارج الأسواق حتى تتم الصلاة ،ويجتهد في ذلك الأمر ،فهوأمر أكيد " [3].وأشار إلى ذلك في قول أخر:" لا يترك أحد يأكل فيه ولا ينام " [4].

كما اقترح ابن عبدون استخدام الحصر القديمة التي أصبحت غير صالحة للمساجد في تزيين بيوت السجن وأماكن الوضوء ،وإذا أمكن بناء مأوى للغرباء ،فسيكون ذلك فخرا للسلطة وأهل المدينة ،كما اقترح توزيع الحصر الزائدة على الفقراء [5]،ونظرا لأن الباعة كانوا يعرضون سلعتهم في ساحات المساجد للإستفادة من كثرة الزوار ،كان من الضروري التنبيه على ضرورة تنظيم هذه

[1] – ابن عبدون : المصدر السابق ، ص 22 .
[2] – نفسه ،ص 23 .
[3] – نفسه ، ص 24 .
[4] – نفسه، ص23 .
[5] – نفسه، ص 22 .

الأنشطة للحفاظ على نظام المسجد لقوله :" يجب أن يؤمر الباعة بكنس رحاب الجامع صبيحة يوم الجمعة ،وأن لا يشغلوا رحابه بالسلع حتى تنقضي الصلاة" [1] ،ومنها أنه "يجب أن يمنع القاضي من يتخذ من الناس في دكاكينه منابر وحوانيت ،فتكون متملكة، ويمنع الناس من الصلاة فيها من أجل ذلك"[2]ولحفظ النظام في المساجد، يجب منع الأشخاص من التحرك داخل المسجد يوم الجمعة وتجاوز رقاب المصلين، خاصة أثناء خطبة الإمام ،ويقع على القائمين والمؤذنين مسؤولية منع هذا التصرف ومعاقبة من يخالفه [3].

2 – الحسبة في المقابر والرقابة على ما يحدث داخلها:

يجب على الناس أن يكون لديهم مقابر لدفن موتاهم، حيث تمثل مكانا يعبر عن الإحترام والتذكير بالمصير النهائي، ولأهمية هذه المقابر شجع النبي صلى الله عليه وسلم عنه كما صح عن حديث أنس رضي الله عنه: " كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزروها فإنها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجرا"[4].فعندما تتغير الأوضاع وتنتشر المخالفات وتنتهك الحرمات يصبح من الضروري التصدي لهذه الأمور وإلا سيتسبب ذلك في دمار شامل في عصر المرابطين حيث يروي شاهد ما شاهده من تجاوزات تثير الأسس لدى كل صاحب دين.

ويذكر ابن عبدون حالة مقبرة إشبيلية التي كانت تترك دون الإهتمام اللازم ،رغم أهميتها الكبيرة في المدينة ،بعدحثه القاضي على " النظر للمسلمين الأحياء منهم والأموات لشيئ لابد منه وهوالموت ،لا سيما بإشبيلية التي هي مصر عظيم ولا مقبرة فيها تقوم بها " [5]، فالمدينة تعاني من كثافة سكانية تجعل الموارد غير كافية لتلبية إحتياجات الجميع، لكن ذلك لا يعني غياب الحياة فيها تماما ،حيث يستدل على وجودها من المقبرة التي تقع فيها وما تحويه من منكرات كما تم الإشارة إليها سابقا.

---

[1] – ابن عبدون : المصدر السابق، ص23 .

[2] – نفسه، ص23 .

[3] – نفسه، ص24 .

[4] – أبوعبد الله الحاكم النيسابوري، زوائد كتاب المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا،ط1 ،دار الكتب العلمية، 1411هـ-1990م ،رقم 1393،ص192.

[5] – ابن عبدون :المصدر السابق ،ص26.

يقول ابن عبدون: " وأقبح مافي مقبرتها، أوبها يعاب أهل بلدنا،السكنى على ظهور الموتى أومن يشربون الخمر وربما يفسقون وقد أحدثوا فيها خلوات وسروبا تجري على الموتى حيث يؤكد من حصبائها وقد لحقت على شيئ إذا هدمت دورها وما أحدث فيها من خيامات وغيرها ،هدمها أبوجعفر ابن الفراء في أول دولة المعتمد بأمر السلطان، وأدركت ابن شهاب إذا كان محتسبا قد قلع الخوابي المجاورة لمسجد الفخاريين وصير مكانها مقابر، وكانت مقابر في سنة الجوع الكبير، والناس يدفنون فيها اليوم بعضهم على بعض وقد ضاقت جدا " [1]، ويعتبر هذا النص من أبرز الشواهد التاريخية عن فترة المرابطين كونه يعكس رؤية من شهد الأحداث مباشرة ،ومنه يمكن استخراج عدة نقاط :

1- أن إشبيلية، المدينة الكبيرة، كانت تحتوي على مقبرة صغيرة غير كافية لتلبية إحتياجاتها.

2- أن المقبرة شهدت ممارسات فاسدة مثل شرب الخمر وربما الفسق، وهوأمر مخالف للجوالذي يجب أن يسود في مكان يبعث على التذكير بالآخرة.

3- غياب أوضعف المتابعة للمخالفات الظاهرة والإنحرافات التي كانت تحدث .

4- أن بعض المحتسبين، مثل ابن شهاب ،كان لهم دور في تحويل الخوابي إلى مقابر لدفن الموتى .

5- الإشارة إلى المجاعة الكبرى في عهد ابن عبدون، التي أدت إلى إنشاء مقابر جديدة، وهوما قام به ابن شهاب .

6- يظهر حرص ابن عبدون المحتسب على إزالة الفساد، وإهتمامه بالإسلام وإتباعه سواء في الحياة أوبعد الموت ،فقد دفعه إلى نصح القاضي بإنشاء مقبرة واسعة لموتى مدينة إشبيلية الكبيرة ،كما يظهر من قول ابن عبدون: " فمن أركد على القاضي وفقه الله أن يهدم دورها وينزع الباعة من أبنيتها ،فإنما هي موضع جلوس الناس على أفنية القبور، ويكلم السلطان في الفدان الذي يعرف بفدان ابن المرس في شرائه من بيت المال ويحدث به مقبرة"[2]، ثم أشار القاضي إلى

[1] _ ابن عبدون: المصدر السابق ، ص 26 .

[2]- نفسه ، ص ،27 .

فضل الشفاعة وذكر قوله تعالى: ﴿ **مَّن يَّشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَّشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا** ﴾ ، ومن الأفعال التي يجب على المحتسب مراقبتها والتصدي لها هي إختلاط الرجال بالنساء في المقابر وأيام الأعياد، وكذلك تعرض الشباب للنساء في الطرقات ،وهذه الأفعال من المنكرات التي تشدد ابن عبدون على تغييرها ،مشيرا إلى ضرورة تعاون المحتسبين مع القضاة في ذلك[1]، ويمكن ذكرها فيمايلي :

1- منع الباعة في المقابر الذين يكشفون على النساء.

2- منع الشباب من الجلوس في الطرقات خلال أيام العيد لإعتراض النساء.

3-مراقبة العرفاء لدارات الفسق خاصة في فصل الصيف.

4- غلق الأبواب المفتوحة التي تؤدي إلى المقابر لكشف النساء.

5- عدم السماح للشباب العزاب والأعمى بتلاوة القرآن على الموتى.

6- منع القصاص والحساب من الجلوس في المقابر.

7- منع القصاص والحساب مع الإنفراد مع النساء في أماكن مغلقة.

8- مراقبة من يدخل النساء إلى المنازل الحساب لمنع الفساد.

9- تنزيه المقبرة من القاذورات مثل جلود الدباغين.

والمنكرات التي تم الإشارة إليها تتعلق أساسا بإختلاط الرجال بالنساء ومحاولاتهم للتحايل عليهن، مما يسبب الفساد والإنحلال، فقد نبه ابن عبدون على ضرورة مواجهتها لأنها تساهم في خراب المجتمع .

3- الحسبة في السجون وضمان تطبيق القيم الشرعية:

تستخدم السجون كاحتجاز مؤقت للمتهمين لحين إصدار الحكم النهائي من القاضي، ولا تعد مدة السجن عقوبة أساسية كما أشار ابن عبدون إذ يجب ألا تطول فترة الإحتجاز بشكل

[1] - ابن عبدون: المصدر السابق، ص، ص 27 ،28.

مفرط، إذ يجب تنفيذ الحكم أوإطلاق سراح السجين، بإستثناء الحالات التي تتعلق بالأحكام الطويلة والقصيرة التي تحددها المحاكم.[1]

3-1- ما يتعلق بالإشراف على السجون :

أ- تفقد السجن: وهنا أوضح ابن عبدون أنه "يجب أن يتفقد السجن في الشهر مرتين أوثلاثا لينظر في أحوال المسجونين إذا كثر الخلق فيه، يجب أن يخرج منه من كان ذنبه خفيفا وينفذ عليه الحكم الذي يليق به ويلزمه" [2].

ب- إفراغ السجون في الأيام المباركة :

و كانت العادة تقتضي أنه في الأيام المباركة تفريغ السجون، كما أشار ابن عبدون " يجب أن يستبرأ من السجن في كل عام في شهر رمضان ،أوفي عشر ذي الحجة، أوفي النصف من شعبان، فإنها أيام عظام " [3].

ج- ما يخص المحتجزين: وبخصوصهم ذكر ابن عبدون جملة من الأمور منها :

1- يجب عدم إدخال الأشخاص المقربين إلى السجن إلا في الحالات الضرورة.

2- لا يجوز وضع أحد في القيود إلا إذا إستحق ذلك بسبب تصرفاته .

3- لا يجي أن يكون أكثر من شخص واحد في القيود في نفس الوقت.

4- على السجان أن يسمح بإطلاق المحتجزين في أوقات الصلاة أوعند الحاجة [4].

د- ما يخص النساء :

ونستعرض في هذا السياق مجموعة من النقاط بإختصار :

---

[1] - ابن عبدون: المصدر السابق، ص18 .

[2] - نفسه، ص 18

[3] - نفسه ، ص 18 .

[4] - نفسه، ص ،ص18، 19 .

1- لا يجوز سجن النساء مع الرجال في نفس السجن لتجنب وقوع فساد.

2- يجب أن يكون سجان النساء رجلا متزوجا أوعفيفا.

3- يتم متابعة سيرة السجان للتأكد من سلوكه.

4- يجب أن لا تطول مدة سجن النساء.

5- يسجن النساء بناء على حكم القاضي، ويعين لهن قابلة موثوقة .

6- يحدد القاضي أجرة للقابلة من بيت مال المسلمين [1].

هـ- ما يخص السجانين :

وسنذكر ذلك في جملة من النقاط هي :

1- لا يجوز للسجانين أخذ شيء من الصدقات.

2- لا يسمح للسجانين بترك رفقاء معهم في السجن للمشاركة في الصدقات.

3- يجب لا يكون هناك أكثر من سجان واحد للأمراء لتجنب الفساد.

4- من يقطع الطريق لا يسجن ،بل يخرج من المدينة ويسمح له بالتعاطف مع الناس.

5- لا يحق للسجان ضرب السجناء أوالإضرار بهم.

6- يجب السماح بزيارة المسجونين من قبل الآخرين [2].

و- ما يخص العمال :

نلخصها فيمايلي :

1- يجب تحديد سلطة معينة على العمال ومنعهم من اتخاذ إجراءات قاسية ضد بعضهم البعض .

[1] - ابن عبدون : المصدر السابق، ص19 .

[2] - نفسه ، ص19 .

2- لا يجوز لأي عامل أن يأمر بالضرب شخص آخر أوسجنه أواستخدام السوط.

3- السلطة الوحيدة المخولة بالقيام بذلك هي السلطان،صاحب المدينة ،القاضي ،والحاكم.

4- من يقوم بذلك دون إذن سيتم الإنكار عليه ويؤدب.

5- لا يجوز لأي عامل أن يسجن آخر إلا بإذن القاضي والسلطان [1].

4- الحسبة في المباني والطرقات ومتابعة الإلتزام بالقوانين :

أ- ما يتعلق بالمباني وفحص مقاييسها وأدوات البناء :

ذكرت المباني في العديد من المواضع في القرآن الكريم وجاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ**﴾[2]، فمهنة البناء تعد من الأساسيات التي لا يمكن الإستغناء عنها في أي وقت أومكان، ولأنه من المهن التي يشهد فيها الغش بشكل متكرر، أصبح من الضروري مراقبتها ومحاسبة من يعملون فيها وهذا الأمر لابد منه[3]، فحسب ابن عبدون فالمساكن تمثل مكانا للراحة والأمان للأرواح والأجساد وبالتالي تكون محمية ومصونة[4] .

ولقد اهتم المؤلفون في مجال الحسبة بهذا الموضوع بسبب الحاجة الملحة إليه، حيث تناولوا خلال عهد المرابطين مواد البناء المستخدمة، مثل الخشب والطوب التقليدي، بالإضافة إلى إستخدام الدواب لنقل هذه المواد عبر أوعية مصنوعة من الحلفاء تسمى " الشواري " والتي كانت تحمل التراب والمواد الآخرى، ولا تزال هذه الأساليب تستخدم في بعض المناطق الريفية والبوادي حتى اليوم لكنها قلت عن تلك الفترة [5].

[1] - ابن عبدون : المصدر السابق، ص 19.

[2] - سورة النحل، الآية 81 .

[3] - بن حليمة إبراهيم، المرجع السابق، ص98 .

[4] - ابن عبدون: المصدر السابق، ص34 .

[5] - بن حليمة إبراهيم: المرجع السابق، ص98 .

فمن مسؤوليات المحتسب أن يتأكد من جميع الأمور المتعلقة بالعدد والموارد اللازمة ومن بين ذلك أن يتحقق أولا من متانة الجدران وتقوية الأخشاب السميكة والقوية التي تدعم المباني وتتحمل الأوزان[1]،وعلى القاضي والمحتسب أن يضمن أن يكون عرض ألواح البناء لا يقل عن شبرين ونصف ،فلا يمكن بناء جدران بأقل من هذا العرض ،ويجب أن تكون الطوب معدة لتلبية هذا الحجم من الجدران[2].

يجب أن يكون لدى المحتسب أوفي المسجد قالب يحدد قياسات الطوب، عرض الجدار ،سماكة الألواح، والموارد الأخرى المستخدمة في البناء ،على أن تكون هذه القوالب مصنوعة من خشب صلب لا يتلف، ومثبتة بأظافر في أعلى الجدار للحفاظ عليها وإستخدامها في حال حدوث أي تغيير في المقاسات ،يجب أن تكون هذه القوالب متاحة للصناع أيضا لمساعدتهم في عملهم ،وهذا من أهم الأمور التي يجب مراقبتها .

وهناك عدة أمور أخرى يقوم بمراقبتها وذكرها ابن عبدون نلخصها في :

- يجب تصنيع الآجر والقراميد خارج أبواب المدينة في أماكن أوسع لتسهيل العمل وبدقة
- يجب صنع أنواع مختلفة من الآجر، مثل أجر لطي والآبار، وأجر للمسطحات، وأجر خاص بالأفران، وأجر للمنقالات.
- يجب إستخدام قوالب جديدة، وليست قديمة أومكسورة، ويجب أن تكون القوالب ذات قياسات دقيقة.
- يجب على الصناع أن يتقيدوا بقياسات الأخشاب وتوزيعها المحدد، وعدم تقليص الحجم أوالشكل .
- يجب زيادة مقدار التراب المستخدم في الشواري، بحيث لا يقل الحزم عن قامة الشخص.

[1] – ابن عبدون: المصدر السابق ،ص 34.

[2] – نفسه ، ص،ص 34 ،35 .

- يجب على البنائين والمحتسب مراقبة معايير منع الآبار والقفف وزيادة حجمها وسمكها لضمان قوتها وجودتها [1].
- يجب زيادة سمك شكول الدواب لأنها أصبحت رقيقة جدا.
- يجب أن تكون غرابيل الحنطة مصنوعة من حلقات قوية من القصب، مع حماية كافية لضمان جودتها .
- يجب حماية أماكن تصنيع هذه الأدوات القديمة وتحصينها وعلى سكان القرى القريبة من النهر جمعها في أماكن عديدة.
- يجب أن تكون حزم القصب ذات حجم محدد، ولا يجب أن يسمح للباعة بالغش عن طريق تقليل الحجم أوإضافة قصب غير مفيد.
- يجب أن تكون المسامير بأنواع مختلفة، قوية ومرتبة، مع التأكد من جودتها من خلال مراقبة المحتسب والصناع.
- صفائح الأكواب يجب أن تكون قوية، بالإضافة إلى آذان الأكواب وأطراف المقابض.
- صفائح الدواب يجب أن تكون قوية وذات رؤوس كبيرة، فهي ضرورية لثبات الصفيحة.
- يجب أن تكون مكابير التسمير حادة جدا، لأن زيادتها قد تتسبب في إفساد الحافر.
- يجب أن تكون السلاليم مصنوعة من خشب قوي وسمك مناسب للحفاظ على الأمان.
- يجب تأمين الحماية للمواقع القديمة من خلال إذن السلطان وتحصينها .
- الجبس والرماد والجير يجبوا أن يباعوا بكميات معروفة مغربلة .
- يجب حماية الطرق من النفيات وإصلاح الأماكن التي تحتفظ بالماء والطين .
- يجب على أصحاب القنوات صيانتها ومنع إستخدامها إذا كانت تحتاج إلى إصلاح[2].

ب – الإشراف على الطرق والمزابل :

ومن مهام المحتسب في هذا الشأن :

[1] – ابن عبدون : المصدر السابق ، ص 35 .

[2] – نفسه، ص ،35 .

- يجب عدم طرح الزبل داخل المدينة أوبالقرب منها.
- يجب التنقية خارج الأبواب وفي أماكن معدة لذلك.
- التأكيد على السكان الأحياء بتنقية ما يجتمع من الزبل.
- يجب على بائع الحشووالدوم والربيع تنظيف أماكنهم.
- يجب عدم إزعاج الناس في الطرق ومنع القفف التي تفرغ سائل[1].

كانت الحسبة في عهد المرابطين وظيفة دينية وإدارية تهدف إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمع الأندلسي، الذي كان مزيجا من المسلمين واليهود والمسيحين الذين عاشوا بتسامح نسبي في إطار من التعايش، ولكي يستمر هذا التعايش فيما بينهم كان المحتسبون يشرفون على الأخلاق العامة لضمان إلتزام الناس بالقيم الإسلامية وإلى جانب هذا شملت الحسبة مراقبة الأنشطة الدينية في المساجد، وتنظيم الأمور في المقابر وضمان الإلتزام بالقيم الشرعية في السجون وكذا الإلتزام بالقوانين في المباني.

[1] – ابن عبدون : المصدر السابق، ص،ص 37 ،38 .

الفصل الثاني:

الحياة الاجتماعية في الأندلس الموحدية

المبحث الأول: فكرة الإصلاح عند الموحدين وإرتباطاها بالحسبة

المبحث الثاني: واقع الحسبة في المجتمع الأندلسي في عهد الموحدين

كانت فكرة الإصلاح في الأندلس الموحدية تهدف إلى إعادة المجتمع للتمسك بتعاليم الشريعة الإسلامية وتعزيز الأخلاق الدينية في الحياة اليومية حيث قام الموحدون بتطبيق العديد من الإصلاحات الدينية والاجتماعية، ومن أبرزها وظيفة " الحسبة" التي كانت تقوم على مراقبة السلوك العام للناس لضمان عدم مخالفتهم للقيم الإنسانية، وبهذه الطريقة ساهمت الحسبة في تعزيز الإصلاح الإجتماعي والديني في المجتمع الأندلسي الموحدي .

المبحث الأول: فكرة الإصلاح عند الموحدين وإرتباطها بالحسبة

شكل مبدأ الحسبة حجر الزاوية في المشروع الإصلاحي الموحدي ، حيث حولوه من مفهوم ديني إلى نظام حكم شامل وجعلوا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر آلية لمراقبة المجتمع و تقويمه وفق رؤيتهم التجددية التي جمعت بين الإصلاح العقائدي و إعادة هيلكة الدولة و هكذا ارتبطت شرعيتهم السياسية بتطبيق هذا المبدأ الذي أصبح أداة لفرض النظام الموحدي و إقصاء المخالفين .

1- الحسبة عند ابن تومرت (ت524هـ/1130م):

تعتبر الحسبة عند ابن تومرت من أبرز المفاهيم التي تبناها في سياق دعوته لإصلاح المجتمع وتطبيق أسس الشريعة الإسلامية، لأن الدولة الإسلامية يجب أن تكون مسؤولة عن مراقبة سلوك الناس وتوجيههم نحو الإلتزام بالقيم الدينية وذلك من خلال رفعه لشعار "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" حيث كان هذا المبدأ أساسا لدعوته.

ففي فترة الموحدين كانت الحسبة أكثر وضوحا مقارنة بعصر المرابطين وذلك نظرا لتوفر المصادر التي تذكر أسماء الأشخاص الذين تقلدوا منصب الحسبة خلال هذه الحقبة، كما كان الحال مع عبد الله ابن ياسين داعية المرابطين الذي تولى هذه الوظيفة بنفسه كذلك قام المهدي ابن تومرت داعية الموحدين بممارسة الحسبة حيث كانت دعوته ترتكز على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1].

أما عن مذهب ابن تومرت لم يلتزم بمذهب فقهي أوعقائدي محدد بل استقى أفكاره من الأشعرية والظاهرية والإعتزال والتشيع، لكنه لم يتبع ايا منها بالكامل فتأثر بالأشعرية في بعض

[1] – محمد عبد الله المعموري وكاظم الشمري: المرجع السابق، ص 95 .

المسائل وخالفها في أخرى، وكان له إرتباط فكري بالغزالي دون الإلتزام بتصوفه كما إقتبس من ابن حزم منهجه في رفض التقليد مع بقائه قريبا من المالكية، أما في الفكر الإعتزالي[1]، فقد تبنى بعض أرائهم خاصة في المبادئ الخمسة "التوحيد" و"العدل"و" المنزلة بين المنزلتين"و" الوعد والوعي " وكذا " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " [2]، ورغم وجود دليل قاطع على تتلمذه على يد المعتزلة إلا أن إقامته ببغداد تكون قد ساهمت في إطلاعه على فكرهم وارتكزت فكرته في الإصلاح على مبادئ الإعتزال، وفي قضية الإمامة تأثر بالشيعة لكنه طور مفهوما خاصا بها، ولم يكن دوره مجرد إنتقاء بل صاغ رؤية متكاملة لخدمة مشروعه الإصلاحي، حيث وظف أفكاره الدينية والسياسية وحتى الاجتماعية لتحقيق تغيرات جذرية في المجتمع [3] .

وعند تتبع رحلة المهدي ابن تومرت العلمية نجد أن نشاطه الدعوي بدأ قبل أكثر من أربعين سنة من سقوط دولة المرابطين، بعد دراسته في قبيلة هرغة بالسوس الأقصى، ثم خرج يطلب العلم فتوجه نحومراكش ومنها إلى الأندلس سنة 501هـ /1107م حيث تعلم على يد علماء قرطبة والأندلس ثم أبحر من ألمرية نحوالمشرق، فدرس في مصر على يد العديد من العلماء أمثال الطرطوشي، وبعدها قصد العراق فأخذ عن بعض علماء الفقه وأصول الدين ودرس بالمدرسة النظامية ببغداد وقيل أنه تتلمذ على يد أبي حامد الغزالي ومنها إلى الحجاز[4] فحج وتفقه وحصل أطرافا من العلم، وكان أمارا بالمعروف، نهاءا عن المنكر [5]،وأثناء ذلك آثارت الفتنة الأمر الذي أدى إلى سجنه ونفيه من مكة فغادر إلى المغرب [6].

---

[1] – عبد المجيد النجار: المهدي ابن تومرت (حياته وأراؤه وثورته الفكرية والإجتماعية وآثره بالمغرب)، ط1،دار الغرب الإسلامي، دب، 1403هـ-1983م، ص 356.

[2] – غالب ابن علي عواجي : فرقة معاصرة (تنتسب إلى الإسلام و بيان موقف الاسلام منها) ، ج1 ، ط4 ، المكتبة العصرية ، جدة ، 2001م ، ص 1178.

[3] – عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص، ص 362- 364 .

[4] – بن حاج ميلود: «الإصلاح الديني والاجتماعي عند المرابطين والموحدين » (448-668 هـ/1056-1269م)، دراسات تاريخية ، مج10، ع2 ،جامعة زيان عاشور الجلفة ،الجزائر، 1444هـ/2022م، ص 204 .

[5] – شمس الدين الذهبي ، المصدر السابق ،ج19 ، ص 540.

[6] – بن حاج ميلود: المرجع السابق، ص 204 .

ومن أبرز مواقف المهدي ابن تومرت في تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أثناء وجوده بتونس ذكر البيدق أنه بعد صلاة الجمعة والصلاة على الجنائز لاحظ جنازة في الصفوف الخلفية وسأل لماذا لم يصل عليها، فأجابوه بأنها تعود ليهودي كان يصلي طلب شهادة من الحضور حول إيمانه وعندما شهد له مجموعة منهم أمر بإقامة الصفوف وصلى عليه بعدها، خاطب الفقهاء وذكرهم بالسنة وشرح لهم معاني الكتاب العزيز مما جعلهم يعترفون بجهلهم ويعبرون عن تعلمهم على يده[1].

وبعد انتهاء فترة إصلاح ابن تومرت بتونس خرج في رحلة نحوقسنطينة ورافقه يوسف الدكالي والحاج عبد الرحمان وأبوبكر بن علي الصنهاجي المعروف بالبيدق وهوالراوي هنا عن هذه الرحلة من خلال كتابه" أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين " والذي يعتبر من أهم المصادر التي تتحدث عن ابن تومرت رغم مافيه من مبالغة في ذكر أخباره، وقد ذكر البيدق حادثة للمهدي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقول فيها " في أحد الأيام سمع المعصوم صوت منادي ينادي: هذا جزاء الحلال، فسأل عن المعنى، فقيل له " الحلال " هوشخص يسرق الأموال ويقتل الناس .فأجاب المعصوم قائلا: عليه القتل وليس السياط، ولكن الضرب يمكن أن يكون جزاؤه . ثم سمع نداء آخر: " هذا جزاء أهل السرقة، فأجاب المعصوم تركتم حكم الشرع، يجب قطع يد السارق، وعندما سألوا المعصوم عن حكمه قال:الضرب لا يمكن أن يحل محل قطع اليد، فلا يجوز جمع حدين في ذنب واحد، وفي النهاية قال للسارق تب إلى الله، فهويقبل التوبة الصادقة "[2] .

ومن هنا ناقش ابن تومرت العقوبات الشرعية للأفعال المختلفة مثل القتل والسرقة، فأكد على تطبيق الشريعة بشكل صحيح من خلال القتل جزاؤه القتل وقطع اليد جزاء للسرقة، ونبه إلى أن العقوبات لا يمكن أن تتداخل في نفس الجريمة.

[1] – أبوبكر بن علي الصنهاجي البيدق: أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين، دط ،دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م، ص 11 .

[2] – نفسه: ص 12 .

وبعد هذه الحادثة أمر ابن تومرت أصحابه بالرحيل إلى بجاية وعند وصولهم إليها ذكر البيدق أحد مواقف ابن تومرت في الإحتساب قائلا:" عندما دخل المعصوم رضي الله عنه بجاية نزل في مسجد الريحانة ،كان يوجه الناس بتجنب بعض العادات مثل إرتداء الأقراق.

الزرارية والعمائم الجاهلية وملابس الفتوحيات، ويحدثهم على الإبتعاد عن تزين أنفسهم مثل النساء، لأنه يعتبر محرما كما كان يبيح الطبيب لكلا الجنسين "[1].

ولما كان ببجاية ظل الفقهاء يأتون إليه خلال شهر رمضان المعظم وفي يوم الفطر إختلط الرجال بالنساء في الشريعة، فدخل الإمام بينهم بعصاه يفرقهم يمينا وشمالا حتى تفرقوا فلما رآه ابن العزيز يفعل ذلك، قال له:" يافقيه لا تأمر الناس بالمعروف وهم لايعرفونه فقد أخشى أن تضربهم، لا يمكن أن يتساوى الحر الكريم مع الشيطان الرجيم "[2].

ومن هنا نلاحظ من قول ابن العزيز أنه ينصح ابن تومرت بعدم فرض المعروف على من لا يعرفه محذرا من عواقب ذلك، وما يؤكد ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ **بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾[3]، فالناس عادة يميلون إلى إنكارما يجهلون إلا من رحم الله .

ومن هنا يتجلى حرص ابن تومرت على تنفيذ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أي مكان كان فيه، ومن بجاية توجه نحوملالة وعرض عليه أهلها بناء مسجد للصلاة فيه وفي أحد الأيام دخل المدينة حتى وصل إلى باب البحر حيث شرب الخمر فقال: " المؤمن تمار والكافر خمار"، ثم ألقوا القبض عليه وقالوا له: من الذي أمرك بذلك؟ فأجاب الله ورسوله، ثم عاد إلى المسجد المذكور[4] .

ومن هذا القول يتبين لنا أن ابن تومرت يظن أنه مأمور من قبل الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه والسلم ليقوم بالإصلاح ولذلك يقوم بالحسبة دون الملل أوالإمتناع عن القيام

[1] – البيدق: المصدر السابق ، ص 13 .

[2] – نفسه ،ص 13 .

[3] – سورة يونس " الأية " 39 .

[4] – البيدق: المصدر السابق، ص، ص 13، 14 .

بها لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1]

وبينما كان الطلبة يتعلمون العلم على يد ابن تومرت وبعد الإنتهاء من الدرس جلس بمكان يعرف بخروب العجوز وهويتأمل الطريق ويذكرالله فقال: "الحمد لله الذي أنجز وعده ونصر عبده " ثم توجه نحوالمسجد وصلى ركعتين وبعدها قال: "الحمد لله على كل الحال قد بلغ وقت النصر، والنصر من عند الله العزيز الحكيم "، وأعلن أنه سيصل غدا طالبا وأنه سيكون مباركا لمن يعترف به، وويل لمن ينكره . وحين سمع الناس هذا، احتاروا في تفسير كلامه وتوقعوا ماسيحدث في هذا اليوم التالي [2] .

ويظهر لنا من قول ابن تومرت تنبأه بلقاء عبد المؤمن بن علي حيث أخبر الناس أن شخصا عظيما سيظهر في المستقبل، وهوالأمر الذي حصل وبعد أن سمع عبد المؤمن توجيهات المعصوم اكتشف أنه سيتولى أمر الأمة في نشر العلم والدين هذا الأخير الذي نشأ على الحفظ والقراءة كان عارفا بحكمة ابن تومرت الذي أسهم في توجيهه وأوضح له أنه سيكون سراجا يضيء حياة الأمة الإسلامية وبعد كل ما جرى قرر المهدي بن تومرت السير نحوالمغرب ودعا راحلة تسمى ب " يرزيجن " التي كانت مع إبنها عبد الواحد الشرقي ووافقت على أن يرافقهم فتوجهوا إلى " متيجة " [3]. وعد ذلك نزلوا في منزل جبارة بن محمد، حيث أعطاهم ابن تومرت خط يده ثم تابعوا رحلتهم إلى " الأحماس " وأمر الإمام بإعادة بناء مسجد مهدوم هناك [4]، وأكملوا مسيرتهم لتشمل رحلتهم عدة محطات بدءا من زيارة المساجد وتعميرها مثل كساس مرورا بمليانة، وانشريس وصولا إلى تينملت حتى انتهت الرحلة بوصولهم إلى تلمسان[5].

ومن خلال تتبع هذه الرحلة يتجلى لنا أنها تبرز العديد من القيم الإنسانية والدينية ومدى أهمية الصدقات والروابط التي تنشأ أثناء الرحلات وكذا تعزيز العلاقات بين الناس، وعند وصوله

[1] – سورة آل عمران " الأية " 104 .

[2] – البيدق: المصدر السابق، ص 14 .

[3] – نفسه، ص ،ص 14-17 . ينظر، شمس الدين الذهبي: المصدر السابق، ص 542 .

[4] – البيدق : المصدر السابق ، ص 18 .

[5] – نفسه ص 19 .

إلى مدينة تلمسان نزل عند صاحب الصلاة وشاهد هناك عروسا تزف إلى زوجها على سرج وهو يرى اللهو والمنكر الذي يحدث فقام بكسر الدفوف وإيقاف المنكرات، وبعد ذلك إلتزم مجموعة من الطلبة في المذاكرة مع ابن تومرت ،كان من بينهم العديد من الأعلام مثل أبوالعباس الشريف ومحرز بن يوسف وغيرهم [1] .

ومن خلال هذا الحديث يتضح لنا أهمية ابن تومرت في السعي لإصلاح الفساد وإيقاف المنكرات، كما يعكس حرسه على نشر العلم والتوجيه الصحيح فتجول ابن تومرت في تلمسان وتفاعله مع الأحداث يدل على إهتمامه بمصلحة الناس وحرصه على الإصلاح الروحي والاجتماعي.

وبعد أن استمال ابن تومرت أهل الأندلس وملك قلوبهم فخرج قاصدا مدينة فاس ،وعندما وصل إليها بدأ يعرض أرائه العلمية، مركزا على علم الإعتقاد وفقا للمذهب الأشعري وفي تلك الفترة كان علماء المغرب يعارضون هذه الأفكار بشدة . فتم إستدعاء الفقهاء لمناقشته، حيث جرت مناظرة بينه وبينهم أظهر خلالها تفقهه لأنه وجد بيئة خصبة الية من الإهتمام بالعلوم النظرية باستثناء الفقه، وعندما سمع الفقهاء كلامه نصحوا والي المدينة بطرده ليلا خوفا من تأثيره على العامة فاستجاب الوالي وأمر بخروجه[2].

ويتبين لنا من هذه المناظرة أن ابن تومرت كان يعتنق أفكارا بعلم الاعتقاد الذي بفضله استطاع أن يتغلب على معارضة الفقهاء من خلال قدرته على الحوار والاقناع، فقد كان يتبنى المذهب الأشعري ويعززه بالمنطق والعقل، فلقى معارضة شديدة من العلماء والفقهاء الذين سعولحماية العامة من تأثيره، مما دفعهم الى إقناع الوالي ليخرجه ليلا للحفاظ على معالم الدين الاسلامي.

[1] -البيدق : المصدر السابق ، ص 20 .

[2] -عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص ،96.

شد ابن تومرت الرحال نحومكناسة حيث استقبله فيها عدد من العلماء والطلبة، وقام بتعليمهم وتوضيح مالا يفهمونه.وبعد ذلك غادر مكناسة متجها الى سلا حيث نزل عند الفقيه أحمد بن عشرة وتعلم منه العلماء كيفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1].

وهكذا ظل ابن تومرت حريصا على نشر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أي مكان يزوره دون تعب يذكر الناس بدينهم و يحذرهم من الغفلة ، ثابتا على مبادئه لا يخشى في الحق لومة لائم.

بعد ذلك واصل ابن تومرت مسيرته الجهادية نحو مراكش المدينة التي كانت مسرحا للأحداث المصيرية إذ كانت عاصمة دولة المرابطين الذين مثلوا ألد أعدائه ، ففي تلك الفترة كانت مراكش حصنا منيعا للمذهب المالكي و السلطة المرابطية ، بينما كان ابن تومرت يحمل أفكارا إصلاحية تدعو إلى العمل بمبادئ الشريعة و محاربة البدع .

و قدكان أول سبب للعداوة بين ابن تومرت والمرابطين أنهم حرقوا كتب أبي حامد الغزالي وعلى رأسها "كتاب إحياء علوم الدين" الذي اعتبره فقهاء المرابطين أن بعض أفكاره تحتوي على بدع وتصوف يخالف المنهج المالكي المحافظ الذي تبنوه،خاصة أن الغزالي كان أشعري العقيدة وهونفس النهج الذي تبناه ابن تومرت مما جعله يتخذ فكر الغزالي مرجعية أساسية في دعوته ضد المرابطين[2].

ولما وصل ابن تومرت إلى مراكش رأى العديد من الأوضاع الاجتماعية والدينية المتدهورة وبدأ يدعوإلى محاربة هاته المنكرات حيث يقول ابن كثير في ذلك" فرأى في مراكش العديد من الأمور التي تخالف ما رآه في أماكن أخرى، ومن بينها أن الرجال يغطون وجوههم بينما النساء يسيرون دون حجاب على وجوههن فبدأ في الاعتراض على ذلك بشدة، لدرجة أنه في يوم من الأيام مرت أمامه أخت المسلمين علي بن يوسف، كانت هي ونساء آخرون على نفس الوضع فاعترض هووأتباعه، وبدؤا في ضرب وجوه الدواب فسقطت دابتها فاستدعاه علي بن يوسف أمير

[1] – البيدق: المصدر السابق،ص ،ص26، 27.

[2] – عبد الرحمان ابن صالح المحمود:موقف ابن تيمية من الأشاعرة، ج2، ط1، مكتبة الرشد ،السعودية ،1415هـ-1995م ،ص 645.

المسلمين"[1] وذكر ابن أبي زرع في كتابه الأنيس المطرب ذلك من خلال قوله " وعندما وصل أحضر أمامه وجمع الفقهاء للمناظرة إلا أنه لم يكن بينهم من يفقه ما يقوله بإستثناء رجل من أهل الأندلس يدعى مالك بن وهب، الذي شارك في جميع العلوم ولكنه كان لا يظهر ما يتوافق مع التيار السائد في ذلك العصر وعندما سمع مالك كلام محمد ابن تومرت شعر بحدس قوي ونشاط ذهني واتساع في عباراته، فاستشار أمير المسلمين في قتله قائلا: " هذا رجل مفسد لا تؤمن غايته ولا يسمع كلامه"[2].

وبعد هذه المناظرة التي جرت بين ابن تومرت وفقهاء علي ابن يوسف تبين أن ابن تومرت كان داهية تغلب عليهم وجعل الأمير يبكي من شدة المنكرات التي كانت في مراكش وهولا يعلمها، لكن كان هناك فقيه عرف نيته يدعى بابن وهب الذي فهم مقصوده وأمر أمير المسلمين بقتله حتى لا يهدد حكمهم ودينهم، ولما حاولوا القبض عليه فر وخرج من مراكش[3]وتوجه نحوالسوس بعد رحلة استمرت حوالي أربع عشرة سنة، وسنه قد قارب الثلاثين حيث بدأ دعوته وبايعه الناس إماما ولقبوه ب "المهدي" وأسس حركة "الموحدين"[4].

ومن هنا بدأ ثورته ضد المرابطين واستخدم فيها عدة أساليب منها رميهم بالتجسيم، وألف عقيدته المسماة ب " المرشدة" .

ونستنتج من ذلك أن ابن تومرت لم يكن يسعى إلى مجرد تغيير سياسي أو ديني شكلي ، بل كان مشروعه في جوهره إصلاحيا يستهدف بناء مجتمع قائم على التوحيد و الانضباط ، وقد كانت الحسبة إحدى الأدوات التي جسدها في هذا السياق فجعلها وسيلة لترسيخ العقيدة الصحيحة و محاربة البدع و المنكرات ، وضمان الالتزام بتعاليم الشريعة ، مما يبين أن الحسبة في عهده لم تكن منفصلة عن مشروعه الإصلاحي .

---

[1] – ابن كثير: البداية والنهاية، ج12،دط، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1412هـ-1991م، ص 186.

[2] – عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص، ص98، 100.

[3] – الميرالاي إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، ج1، بالمطبعة الأميرية بيولاق، مصر المحمية ، 1316هـ، ص 292 . ينظر، الملك المؤيد عماد الدين أبي الفداء (المسمى المختصر في أخبار البشر)، ج2، تع: محمود أيوب ،دط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت ،ص 54 .

[4] – عبد الرحمان بن صالح المحمود: المرجع السابق، ص ،ص645، 646 .

2- الحسبة عند باقي الخلفاء الموحدين :

توفي ابن تومرت مؤسس الدولة الموحدية بعد أن أسس حركة دينية وفكرية تهدف إلى إصلاح المجتمع الإسلامي، وعقب وفاته تولى عبد المؤمن ابن علي السلطة وأصبح أول خليفة موحدي، فهل ياترى سار عبد المؤمن ومن بعده من الخلفاء على نهج ابن تومرت وحافظوا على مبادئه ؟

أ- الحسبة في عهد عبد المؤمن بن علي(558-524هـ/1130-1163م):

لطالما طمح ابن تومرت لإسقاط المرابطين وتغيير مافي دولتهم لكن للقدر شأن آخر ولما أحس بقرب أجله عمد إلى رفيقه عبد المؤمن لإكمال ما بدأ به وأمر الموحدين بسمع أميرهم وطاعته والأخذ بوصيته[1].

ولقد سار عبد المؤمن على نفس مبدأ إمامه وهوتطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد كانت هذه الدعوة جوهر فكرة إمامهم[2].

فبعد إنتصار عبد المؤمن على المرابطين قام بتغيرات عدة، ففيما يتعلق بالاقتصاد إلتزم عبد المؤمن بجمع الأموال وفقا للشرع، لكنه توسع في فرض الضرائب والخراج نتيجة للظروف العسكرية والإقتصادية، مستندا إلى فتوى دينية تبيح ذلك بهدف دعم الجهاد في سبيل الله[3].

إن جمع الأموال وفق الشرع عزز روح التضامن بين أفراد المجتمع لدعم الجهاد لكن في الوقت نفسه فرض أعباء إضافية على الفلاحين وشرائح آخرى مما نتج عنه تفاوت اقتصادي و اجتماعي لأن الاقتصاد مرتبط بالجانب الاجتماعي لكن مع دور الفتاوى في توجيه سلوك الناس جعلتهم يقبلون لهذه السياسة، أما فيما يخص المناصب الدينية فكانت تتضمن منصب القضاء والشورى والإمامة في الجامعة، فكان قاضي الجماعة يعين بقرار الخليفة ويشرف على تعيين القضاة

[1] - ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص، ص 179،180.

[2] - ابن القطان المراكشي وأبومحمد حسن بن علي بن عبد الملك الكتامي: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح، محمود علي مكي ،ط2، دار الغرب الإسلامي، د ب،1410هـ-1990م، ص 187 .

[3] - عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب (في عهد عبد المؤمن بن علي)، دط، دار المعارف، مصر، 1971م، ص، ص265،266.

ومحاسبتهم، وكان الأندلسيون يستأثرون على منصب القضاء في الحالات النادرة، وفي المقابل كان الخلفاء يعينون قضاة من فقهاء الأندلس[1] في المغرب وكان فقهاء المغرب لا يعترضون على ذلك، كما كان هناك منصب صاحب الشورى الذي يعين من بين الفقهاء الممتازين وتقتصر مهمته على إفتاء المسائل الدينية وكان صاحب هذه المهمة قريبا من الناس مما جعله أقل هيبة من القاضي، كما وجد منصب صاحب الأحكام الذي يشارك في إبداء الرأي في القضايا الشرعية .

ويبدو أن النظام الديني في عهد عبد المؤمن كان يعتمد على توزيع المناصب الدينية بين القضاة وأهل الشورى، مع التركيز على التخصصات الدينية والتعاون بين الفقهاء من مختلف المناطق حيث لعبت هذه المناصب دورا مهما في تنظيم شؤون المجتمع وتحقيق العدالة مما يعكس إهتمام الدولة الموحدية بتعزيز الإستقرار الديني والاجتماعي، أما فيما يخص المواريث كان لها خطة مستقلة نظرا لأهميتها وتفاصيلها الدقيقة يتولى الموثوقون مسؤوليتها ،كما يتفرع عن القضاء ما يسمى ب "خطة الحسبة" حيث كان فقهائها ينظمون الأسواق ويشرفون على جودة المكاييل والموازين، وسلامة السلع وضبط المعاملات [2] .

أما بالنسبة لوظائف الصلاة فكان " صاحب الصلاة " يشرف عليها وهومنصب يوازي في الأهمية منصب قاضي الجماعة، ويعين مباشرة من قبل الخليفة ولا يملك الولاة سلطة عليه وكان هذا الأخير يعين الأئمة ويوجههم ويفحص أعمالهم ويعالج شكاياتهم وعادة ما كان يختار الفقهاء والخطباء ويقوم هوشخصيا بإلقاء الخطب في المساجد الكبرى مثل مسجد الكتيبة في مراكش ومسجد قرطبة ومسجد إشبيلية[3] .

ولقد ذكر عبد المؤمن في رسالته منكر عدد من الممارسات الظالمة مثل تطبيق العقوبات بشكل مفرط والظلم في جمع الأموال والتلاعب في الأسواق خاصة في التعامل مع النساء، ويشدد على ضرورة الإلتزام بالعدالة وفقا للشريعة الإسلامية والتحقق من صحة الأحكام قبل تنفيذها مع

[1] – عبد الله علي علام : المرجع السابق ، ص 266 .

[2] – نفسه ،ص ، 267 .

[3] – نفسه ، ص 267 .

التأكد على أن الإجتهاد يجب أن يكون معتدلا ومتوازنا، كما يحذر من الفساد الذي ينشأ من الجهل أوالإهمال في تطبيق الأحكام الشرعية لضمان العدالة وحماية الناس[1] .

كما أكد عبد المؤمن على أن المرأة جزء أساسي من المجتمع ويجب حمايتها من الظلم والممارسات الجائرة، وأوضح أهمية تحقيق العدالة وفقا للشريعة الإسلامية وتطبيقها بشكل منصف محذرا من الفساد الناتج عن الجهل أوالإهمال في تنفيذ القوانين لضمان حقوق الجميع بما في ذلك النساء، حيث أشار إلى أهمية التعاون بين المسلمين والإبتعاد عن الظلم وختم نص رسالته بتوجيهات للإبتعاد عن البدع والعمل بمبادئ الأخلاق الحميدة[2].

ومن هنا يبرز لنا حرص عبد المؤمن من خلال رسالته على جملة من المنكرات وكيفية التصدي لها كما حث الناس على التعاون ليعم الأمن بينهم ويعملون وفق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وظل يسير وفق نهج ابن تومرت حتى توفي قبل فجر يوم الثلاثاء الثامن من شهر جمادى الآخرة من عام ثمانية وخمسين وخمسمائة هذا ما ذكره ابن قطان عن وفاته[3].

وقبل وفاته كان قد عهد لابنه محمد بالأمر من بعده غير أنه كان مدمنا لى الخمر وهوأمر غريب أن يتم تعيين شخص يشرب الخمر للحكم على المسلمين وهوالذي يجب أن يأمر بالمعروف، فواجه هذا الأخير معارضة كبيرة فقرر الفقهاء وأبناء عبد المؤمن خلعه بعد أن بقي في الحكم خمسة وأربعين يوما فقط، وتم ترشيح يوسف وعمر إخوة محمد لكن إختار عمر أن يبايع أخاه أبويعقوب الذي بايعه الناس[4].

الأمر الذي يعكس أن عبد المؤمن بن علي لم يفعل الحسبة كغاية مستقلة ، بل كوسيلة لتحقيق مشروعه الإصلاحي حيث سعى من خلالها إلى إصلاح المجتمع دينيا و أخلاقيا ، وترسيخ قيم العدالة و الانضباط مما يؤكد أن اهتمامه بالحسبة كان جزءا من رؤيته الشاملة لبناء دولة قوية و متوازنة.

[1] – ابن القطان: المصدر السابق، ص ،ص 193-198 .

[2] – نفسه ، ص ،ص 198-203 .

[3] – نفسه، ص، 205 .

[4]– محمد بن عبد الرحمان البشر: مباهج الأندلس، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971م، ص،ص424-425.

ب- الحسبة في عهد أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن(558-580هـ/1163-1184م) :

كان ثاني سلاطين الدولة الموحدية في المغرب والأندلس بعد سقوط دولة المرابطين ولد بمدينة تينملل بالمغرب وتولى السلطة بعد وفاة والده سنة 558م رغم معارضة بعض إخوته في بداية حكمه إلا أنه إستمر في القيادة بثبات[1].

كان شابا حسن الهيئة، فصيحا واسع المعرفة في الفقه والأدب وشجاعا وكريما، إهتم بالعلم والفلسفة وجمع كتب الفلاسفة وكان قريبا من ابن طفيل حيث ذكر ابن رشد أنه ناقشه في القضايا الفلسفية بضور ابن طفيل[2]، مهتما بشؤون الرعية مع مواقف قوية ضد المفسرين[3].

ولقد كان أبي يعقوب يوسف من الحكام الذين أولوا العلماء مكانة رفيعة حيث استعان بهم في شؤون الدولة، مما يعكس إدراكه لأهمية العلم في تحقيق العدل والإصلاح بين الناس وفي هذا الصدد ذكر الشيرزي :" ورب جاهل يستحسن بعقله ما قبحه الشرع، فيرتكب المحظور وهوغير عالم به، ولهذا المعنى كان طلب العلم فريضة على كل مسلم" [4] .

ولم يقتصر إهتمامه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في التعليم فحسب بل قام بتوسيع مراكش وأتم بناء جامع الكتبيين وإضافة إلى بناء المستشفيات والمدارس، كما أصدر عملات ذهبية من فئة الدينار تحمل نقوشا دينية ويحتوي وجه العملة على عبارة " بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله المهدي الإمام " والوجه الخلفي منقوش بعبارة "القائم بأمر الله آل خليفة أبومحمد عبد المؤمن بن علي أمير المؤمنيين " ونقش في الهامش .

"أمير المؤمنين أبي يعقوب يوسف بن أمير المؤمين "[5]، وقد انعكست هذه الإنجازات بشكل مباشر على الجانب الاجتماعي حيث أسهم توسع مراكش وبناء المستشفيات والمدارس في تحسين

---

[1] -شمس الدين الذهبي : المصدر السابق ، ج21 ، ص ،ص 98-102.

[2] - نفسه، ج21، ص 99 .

[3] -نفسه ج21، ص ، ص99-102.

[4] - الشيرزي: المصدر السابق، ص 6 .

[5] - عائد عميرة، «أبويعقوب يوسف بن عبد المؤمن مسيرة حافلة بالأمجاد والإرث الخالد »
27/09/2024 , www.hoopost.com.ت د05-02-2025م.ت خ05-02-2025.

مستوى المعيشة وتعزيز النهضة العلمية والصحية، كما أن إصدار العملات بنقوش دينية لم يكن مجرد قرار اقتصادي بل كان وسيلة لتعزيز الهوية الدينية وترسيخ القيم الإسلامية في المجتمع وقد ساعدت هذه الإصلاحات في تحقيق الإستقرار الاجتماعي من خلال نشر العدل وتوفير فرص التعليم وتحسين الخدمات العامة مما أدى إلى تطور المجتمع وإزدهاره .

اعتمد يعقوب بن يوسف على الحسبة كأداة إصلاحية ،حيث سعى من خلالها إلى ضبط المجتمع دينيا و أخلاقيا و تنظيم الحياة العامة وفق الشريعة الإسلامية فحرصه على حاربة المنكرات ودعم العلماء لم يكن هدفا رقابيا بحتا ،بل جزءا من مشروع إصلاحي متكامل الأمر الذي يعكس أن الحسبة كانت وسيلة لتحقيق الاستقرار و بناء دولة قائمة على القيم الإسلامية.

ج – الحسبة في عهد أبي يوسف يعقوب بن يوسف المنصور (580–595هـ/1184-1199م):

يعتبر المنصور الموحدي من أقوى الشخصيات في تاريخ الدولة الموحدية، حيث شهدت الدولة في عهده عصرا ذهبيا فبعد إستشهاد والده سنة 580هـ إنتشرت الفتن الداخلية والصراع على السلطة مما دفع شيوخ الموحدين إلى مبايعة أبي يوسف يعقوب بن يوسف خليفة[1]، فتولى الحكم وعمره اثنتين وثلاثين سنة[2].

وبعد أن استتب الأمن عاد إلى مراكش وقام بتعزيز حكمه حيث أعلن العدل وإهتم بقضايا الدين والعلم فكان عالما حافظا للقرآن والحديث[3].

ولقد كان يميل إلى مذهب الظاهرية، فنأى عن المالكية وقام بحرق كتب الفروع الفقهية بل هدد من يشتغل بها، كما طلب من علماء الحديث جمع كتاب في الصلاة من الكتب الخمسة ،كتاب "الموطأ" لمالك و"مسند ابن أبي شيبة " و"مسند البزار" ،كذا "سنن الدارقطني" و"سنن البيهقي"، كما جمع ابن تومرت كتابا في الطهارة.

[1] – الذهبي : المصدر السابق ، ج21 ، ص ،ص 311-313.

[2] –نفسه ،ج21، ص 312 .

[3] – نفسه ، ج21، ص ،ص 313-319.

ثم كان يلقيه بنفسه على كبار رجال دولته ويكافئ من يحفظه ،كان هدفه إلغاء مذهب مالك من البلاد وفرض المذهب الظاهري، وهوالنهج الذي سعى إليه والده وجده من دون جدوى وقد نقل عن أحد العلماء أنه سمع الحاكم يستنكر تعدد الآراء الفقهية ويرى أن الحق في "القرآن" أو"السنن لأبي داوود" فقط ومن يخالف ذلك فالسيف مصيره[1].

كما عرف بحكمه العادل وإصلاحاته الكبيرة فكان يهتم بالصلاة والقضاء بنفسه ويساعد الفقراء والأيتام، ويبني المستشفيات والمدارس كما حارب الفلاسفة وألغى الخمر في دولته[2].

لقد عرفت فترته توسعا في الحسبة حيث حرص على ضط أمور الأسواق وتعزيز القيم الدينية كما اعتمد على الرقابة الصارمة لضمان العدل واهتم بتطبيق الشريعة حسب مذهبه الظاهري الأمر الذي أدى إلى إنعكاس هذه الجوانب إجابيا على الحالة الاجتماعية فسادت الطمأنينة وإنتشرت العدالة بين الناس، كما حرص على الإلتزام الديني ومحاربة المنكرات وإحياء دور العلماء في توجيه المجتمع وهدا ما جعل عصره من الفترات الذهبية في تاريخ الموحدين.

و يفهم من ذلك أن الحسبة في عهد أبي يوسف يعقوب لم تكن مجرد أداة لضبط السلوك،بل وسيلة لترسيخ سلطة الدولة من خلال الانضباط العام و تفعيل دور النخبة الدينية في التوجيه،مما يعكس رؤيته للإصلاح باعتباره عملية شاملة تمس الجانب الأخلاقي و المؤسساتي في آن واحد.

د – الحسبة في آخر عهد الموحدين:

شهدت الدولة الموحدية أوج قوتها في القرون الأولى حيث إهتم عبد المؤمن بتأسيس دولة قوية من كل النواحي، كما دعم خلفاءه من بعده بالعلم وإنشاء المدارس والمساجد وأما بالنسبة للحسبة فقد كانت تقوم وفق الشرع الإسلامي، لكن تغيرت الأوضاع بعد وفاة المنصور وظهرت الصراعات الداخلية والتهديدات الخارجية مما أدى إلى تراجعها[3].

---

[1] – شمس الدين الذهبي : المصدر السابق ج21 ،ص، ص 313،314، ينظر: محمد عبد الرحمن، المرجع السابق، ص، ص 225،224.

[2] – شمس الدين الذهبي : المصدر السابق ج21، ص ، ص 315 –318 .

[3] – عائد عميرة، وإدريس الوثاق: آخر خلفاء دولة الموحدين ....وقصة سقوط أقوى دولة مغاربية www.hoohpost.com,2024/10/12.ت د07-02-2025م.ت خ 07-02-2025.

ونظرا لعدم توفر المعلومات الكافية حول أمرهم بالمعروف ونهي عن المنكر تفادينا ذكر باقي الخلفاء لذكر آخرهم .

أما فترة إدريس الواثق فكانت مليئة بالمشاكل والفتن الداخلية والخارجية مما أدى إلى تدهور حال الحسبة ولم تبقى كما كانت عليه في بداية عهدها، ولما نبحث في أحوال مراكش نجد إنتشار مظاهر الظلم والفحش بها بالإضافة إلى شرب الخمور وهي من الموبقات الواضحة التي يحذر منها الحكام الوحدين الأوائل كما ذكر في رسالة عبد المؤمن بن علي، ويظهر ذلك أيضا من خلال كلام الحميري في قوله "إلى أن اختلت الأحوال ووقعت الفتن وتفشا فيها الظلم والفجور وشرب الخمور والتحامل على الناس"[1].

و يظهر من هذا القول أن المحتسبين في آخر عهد بني عبد المؤمن ذهبت مهابة خلفائهم مما أدى إلى نقص نشاطهم ولذلك انتشرت هذه المنكرات التي لم تكن متفشية في عهدهم الأول وهذه الآفات أدت إلى زوال دولة الموحدين وهكذا كان الحال عند باقي الدول الأمر الذي يبين أن غياب الحسبة الفاعلة لم يكن مجرد تراجع في وظيفة إدارية ،بل مؤشر على فشل المشروع الإصلاحي و تفكك البناء المجتمعي مما يوضح أن الحسبة كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بالإصلاح فكلما ضعفت أو أهملت انهار النظام القائم و تفككت أركان الدولة.

[1] – الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2،مطبعة هيد لبرغ، بيروت، لبنان، 1984م ،ص 541 .

المبحث الثاني: واقع الحسبة في المجتمع الأندلسي الموحدي

كانت الحسبة في المجتمع الأندلسي الموحدي جزءا مهما من النظام الاجتماعي والديني حيث كان المحتسب يشرف على تطبيق الشريعة الإسلامية في الحياة اليومية، تمثلت مهامه في الإشراف على الأسواق ومحاربة الفساد الاجتماعي، كما كان له الفضل في في تطبيق العقوبات على المخالفين فالحسبة تمثل أداة هامة في مشروع الدولة الموحدية لإعادة هيكلة المجتمع وفق المبادئ الإسلامية .

1/تعليم الناس والوعظ الديني :

فبعد عودة ابن تومرت من رحلته العلمية بدأ بنشر العلم وتعليم الناس تعاليم الدين الإسلامي في أي منطقة يذهب إليها لأن أساس دعوته هوالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالعلم هوالوسيلة الأساسية للوصول إلى الإيمان الصحيح ومعرفة الله، والإيمان لا يقبل إلا من خلال العلم وهوفرض على المسلمين لفهم الأحكام الشرعية فالله عز وجل أمرنا بتعلم العلم ورفعه ،كرمه وجعل الأجر العظيم لمن يسعى لتحقيقه وكل هذا من أجل التمييز بين الحق والباطل وأداء العبادة بشكل صحيح[1].

فقد بين الله تعالى فضل العلماء في إرشاد الناس وتحقيق الخير لهم في حياتهم لقوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ ٱلْمُومِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآيِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴾.[2]

فقد كان ابن تومرت من أبرز المشددين في دعوته حيث كان يفرض أمره بالمعروف طوال فترة دعوته ورغم الصعوبات التي واجهته إلا أن ذلك لم يمنعه من القيام بها بنفسه بل أمر أتباعه بذلك، حيث رأى أن المجتمع المغربي يحتاج إلى إصلاحات عديدة لأنهم لا يفقهون في الدين[3].

---

[1] – بلقاسم فيلالي: « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الأحكام الشرعية وممارسات الموحدين » ، مجلة المعيار، ع41،جامعة الأمير عبد القادر العلوم الإسلامية، قسنطينة، 2016م ، ص،ص 98،99 .

[2] – سورة "التوبة " الأية 123 .

[3] – بلقاسم فيلالي، المرجع السابق، ص 105 .

وفي عهد يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن استمر هوالأخر بنشر العلم وتوعية الناس بأمور الشريعة ،كان يشجع العلماء والدعاة للتكفل به[1].

لقد أسهم شغف الأمراء الموحدين بالعلم وإهتمامهم بنشره بشكل واضح في إزدهار الحركة العلمية في عصرهم، مما أدى إلى ظهور نخبة من العلماء المتميزين في مختلف المجالات [2].

2- مراقبة تطبيق الشريعة الإسلامية في الحياة اليومية :

كان للمنهج الديني الذي أسسه ابن تومرت تأثير واضح على سياسة الدولة الموحدية، حيث غلب الطابع الديني على مختلف جوانب الحكم، وقد تجلى ذلك في الحرص الشديد لابن تومرت على ضرورة تطبيق العبادات ،كان يضع قوانين صارمة لمخالفيها.

وفي ذلك يقول الذهبي:" ثم ركب البحر إلى المغرب، وقد رأى أنه شرب ماء البحر مرتين، وأخذ ينكر في المركب على الناس، وألزمهم بالصلاة "[3] .

أما عبد المؤمن فقد اتبع طريقة ابن تومرت في الحرص على نشر تعاليم الإسلام وهذا ما أكده المؤرخ عبد المجيد النجار في قوله :"يعظم أمر الدين ويقويه، ويلزم الناس في سائر بلاده بالصلوات، ومن رؤي في وقت الصلاة غير مصل قتل " [4]وذكر الذهبي ذلك في قوله" ونادى من ترك الصلاة ثلاثا فاقتلوه، وأزال المنكر، ،كان يؤم بالناس ويتلوفي اليوم سبعا، ويلبس الصوف الفاخر ويصوم الإثنين والخميس ويقسم الفيء بالشرع فأحبوه "[5].

ومن هنا يتبين لنا أن الخليفة عبد المؤمن وهو يدعوإلى إزالة المنكر أمر المسلمين بالإلتزام بالصلاة والعبادات الأخرى مثل تلاوة القرآن والصوم ومن تركها يعاقب، كما ذكر ابن القطان تربية ابن تومرت لأولاده حيث قال :" ،كان يدربهم في الدين ويشتد عليهم فيه ويعلمهم الأذان ويأخذهم بالرمي والعوم وركوب الخيل والتدرب عليها مع الموحدين أعزهم الله تعالى، ،كان يأخذهم

[1] – محمد بن عبد الرحمن البشر: المرجع السابق، ص، ص 224،225.

[2] – عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص385.

[3] – الذهبي: المصدر السابق ، ج19، ص 542 .

[4] – عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص 386 .

[5] – الذهبي: المصدر السابق، ج19 ،ص 542 .

بحضور الصلوات الخمس في الجماعات، وبقراءة الحزب من القرآن إثر الصلاة و يحضرون في الأسحار على ارتقاب الفجر"[1].

و يتضح من ذلك أن الخليفة عبد المؤمن كان يحرص على تربية أبنائه تربية ناشئة ومتكاملة وهويلزمهم بأمور الدين ،كذا قراءة القرآن ويعدهم للحياة وبذلك يجمع منهجه بين الإيمان والقوة من أجل نصرة الدين وخدمة الأمة .

وأما بالنسبةلأبي يعقوب يوسف فقد سن نهج والده عبد المؤمن في التشديد على إقامة الصلاة، فكان يأمر بالنداء في الأسواق لحث الناس عليها ومن تركها كان جزاءه العقاب بالإضافة إلى هذا فرض عقوبات صارمة على من انشغل بمعيشته عنها، وحارب ظاهرة شرب الخمر ولم يتهاون في معاقبة العمال الظالمين، وفيما يخص الدماء فكان يتحرى فيها بشدة إذ أصدر أوامر لعماله بعدم إصدار أي حكم بالقتل أوسفك الدماء إلا بعد رفع القضية إليه موثقة بالشهود العدول والأدلة الكاملة لضمان العدل والحقوق[2] .

ونفس الأمر عند الخليفة أبي يوسف يعقوب المنصور كان هوالأخر متدينا وعادلا متمسكا بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بحزم، كما إشتهر بالجهاد في سبيل الله ،كان يقوم به بروحانية عالية، يتقرب إلى الله بالدعاء ويطلق سراح الأسرى ويوزع الصدقات قبل المعارك عرف بحكمه العادل وإنصافه للضعفاء مما أكسبه محبة الناس حتى بعد موته[3].

ولقد تجلت هذه الصفات عند باقي الخلفاء الموحدين حتى أنهم ساروا على نهج ابن تومرت في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

[1] – ابن القطان: المصدر السابق، ص 172 .

[2] – عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص ،ص 388، 389 .

[3] – نفسه ص، 389 .

3- محاربة الفساد الأخلاقي وتطبيق العقوبات على المخالفين :

رأى ابن تومرت أن الفساد الأخلاقي يشكل تهديدا خطيرا على مبادئ الشريعة الإسلامية مما جعله يشدد الرقابة على الأماكن العامة مثل الأسواق والمجالس ويفرض عقوبات قاسية على أي مخالفات .

ولقد ورد عن ابن تومرت أنه كان يجلس أحيانا ويراقب المارة فإذا رأى آلات اللهوأوأواني خمر كسرها، وكان ينهى الرجال عن التشبه بالنساء محذرا من تحريم ذلك وعندما يرى الإختلاط بين الناس فرقهم بالعصا [1]وأمر أصحابه بتحطيم أدوات اللهووالمجون [2]وكان يفعل ذلك في أي منطقة يزورها ينهى عن المنكر ويعاقب من يخالف الدين الإسلامي .

أما عبد المؤمن ففي سنة 542هـ-1147م اتخذ موقفا حاسما تجاه غير المسلمين داخل دولته حيث جمع اليهود والنصارى وأعلن أن المهدي ابن تومرت أمره بعدم السماح بغير الإسلام في دولته فلم يبقى فيها مشرك ولا كنيسة، حيث كان يخير غير المسلمين بين الإسلام أوالقتل مما جعل سكان مملكته مسلمين وبعد عام أرسل رسالة من تينملل تشدد على العمل ومحاربة المنكر الأمر الذي عكس صرامته وعزمه في تطبيق مبادئ دولته[3].حتى قيل أن عهده إتسم بالأمن والإستقرار فكانت المرأة تستطيع السفر بمفردها من أقصى المغرب إلى أدناه دون أن تتعرض لأي خطر أوأذى، وإلى جانب هذا تحلى الناس بأخلاق رفيعة وأمانة عظيمة لدرجة أن الدينار إذا سقط من أحدهم في الطريق العام بقي مكانه لأيام دون أن يجرأ أحد على أخذه حتى يعود صاحبه، حيث كان هذا الأمن ثمرة حكم قوي قائم على العدل والنظام مما جعل البلاد تنعم بالطمأنينة.[4]

---

[1] - البيدق: المصدر السابق، ص 13 .

[2] - نفسه، ص 24 .

[3] - بلقاسم فيلالي: المرجع السابق، ص ،ص 86، 87 .

[4] - عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص 392 .

4- الرقابة على الأسواق والمهن :

كان ابن تومرت يقوم بمهمة الحسبة في الأسواق بنفسه ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر

وبعد استقرار الأمن الداخلي لدولته اتبع عبد المؤمن نفس منهجه فحرص كل الحرص على تنمية الإقتصاد فأمن طريق التجارة وراقب الأسواق مراقبة دقيقة وإتخذ سياسة حاسمة في الإشراف على الأسواق ومحاربة الغش والتدليس[1].

وعلاوة على هذا حرص الخليفة المنصور (580-595هـ)على مراقبة الأسواق والتأكد من عدالة الأسعار من خلال لقاءات دورية مع أمناء الأسواق وشيوخ الحضر .

حيث كان المحتسب وأعوانه مسؤولين عن تنظيم التجارة وضبط الأسعار وكذا معاقبة الغشاشين ومنع الإحتكار إضافة إلى مراقبة المكاييل والموازين، كما أشرف المحتسب على تحديد أسعار الخضر والفواكه لمنع إستغلال التجار مما عزز دوره في تطبيق مبادئ العدل .

فقد كان لسوق الموحدية بعد اجتماعي واضح ليس في مجال التجارة فحسب بل أضحى مجالا يعكس القيم الأخلاقية والعلاقات الاجتماعية، فمن خلال هذه الخطة تم ضبط الأسعار ومنع الغش مما ساهم في تحقيق العدالة والإستقرار الاجتماعي فكان الإشراف على الأسواق يهدف إلى جعل السوق ركيزة مهمة في بناء مجتمع متوازن ومستقر[2].

تعتبر الحسبة آلية ضرورية في تنظيم الحياة الاجتماعية في الأندلس خلال العهد الموحدي حيث شكلت وسيلة مهمة للإصلاح وضبط السلوك العام وفقا لمبادئ الشريعة الإسلامية وقد بدأ هذا النظام مع ابن تومرت ثم تطور مع عبد المؤمن وخلفائه من بعده ، حيث أدى كل منهم دورا في تعزيز هذه الوظيفة وفقا لإحتياجات المجتمع وظروف الحكم، وقد شملت مهام الحسبة مجالات متعددة مثل التوجيه الديني ومراقبة تطبيق تعاليم الشريعة الإسلامية ومحاربة الفساد

[1] – مسعد محمد عبد الله: « أسواق المغرب الأقصى عصر دولة الموحدين من سنة 541-609هـ/1145-1212م »،مجلة كلية الآداب ، جامعة قناة السويس ، العدد 29، جويلية 2012م، ص، ص،336 ،337 .

[2] – رضا رافع، « الحسبة مهنة وولاية وخطة في العهد الموحدية »، المجلد 11، العدد 1، قسم العلوم الإنسانية، جامعة آكلي محند أولحاج البويرة،2017م، ص 223.

الأخلاقي بالإضافة إلى الرقابة الاقتصادية على الأسواق ،إذ أسهمت هذه الجهود في ترسيخ قيم العدل والإنضباط الاجتماعي، لكن مع ضعف الدولة الموحدية في آواخر عهدها تأثرت الحسبة وتراجعت فعاليتها مما إنعكس سلبا على الحياة الاجتماعية وفتح المجال لإضطرابات وتغيرات عدة.

الفصل الثالث:

أثر الحسبة على المجتمع الأندلسي في عهد المرابطين والموحدين

المبحث الأول: الأثر الأخلاقي والاجتماعي

المبحث الثاني: حدود إلتزام المجتمع بقواعد الحسبة

المبحث الثالث: إرتباط المؤلفات الحسبية بالواقع الاجتماعي للأندلس

أدت الحسبة دورا محوريا في تشكيل المجتمع الأندلسي خلال عهدي المرابطين والموحدين حيث كانت أداة لضبط السلوك العام وصيانة القيم الدينية والاجتماعية وتحقيق العدالة في المعاملات، وقد إمتد أثرها ليشمل الجوانب الأخلاقية والاجتماعية مع ما رافق ذلك من إلتزام متفاوت من أفراد المجتمع بقواعدها. كما ظهر إرتباط واضح بين واقع الحياة اليومية في الأندلس وبين مادونه العلماء في مؤلفاتهم عن الحسبة، مما يعكس التفاعل الحيوي بين النظرية والتطبيق في تلك الفترة .

المبحث الأول: الأثر الأخلاقي والاجتماعي

ساهم نظام الحسبة في الأندلس خلال عهدي المرابطين و الموحدين في تعزيز القيم الأخلاقية وتنظيم العلاقات الاجتماعية من خلال الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر مما أدى إلى تعزيز الانضباط و الاحترام داخل المجتمع .

1- الأثر الأخلاقي في زمن المرابطين والموحدين:

مثلت مؤسسة الحسبة في المجتمع الأندلسي خصوصا خلال فترتي المرابطين والموحدين ركيزة أساسية في تعزيز القيم الإسلامية وضبط السلوك العام حيث حرصت الدولة من خلالها على تطبيق الشريعة الإسلامية في مختلف نواحي الحياة، وقد أدت هذه المؤسسة دورا إصلاحيا مهما في تهذيب المجتمع ونشر الأخلاق الفاضلة إذ تولى المحتسب الإشراف على المعاملات وتنظيم الحياة العامة، مما أسهم في ترسيخ مبادئ الأمانة والعدالة والإحترام بين الأفراد وتحقيق حالة من التوازن والإستقرار الأخلاقي داخل المجتمع وسنقوم بتلخيص هذه الآثار فيمايلي:

- ساهمت الحسبة في نشر القيم الإسلامية وتعليم أركان الدين مثل ما فعل عبد الله بن ياسين لما ركز على تعليم الصلاة بعد ما لاحظ جهل الناس بها.[1]

،كذلك ابن تومرت فعل المثل مما جعل الطلبة يجتمعون حوله وامتلأت قلوبهم بمحبة العلم والدين.[2]

[1] - الشيخ عدة، « الدعوة الدينية المرابطية ،أسسها وخصوصياتها وأثرها في قيام الدولة (447-542هـ/1055-1148م)» ، مجلة الإحياء، مج20، ع27، جامعة حسيبة بن بوعلي، شلف، نوفمبر 2020م، ص 570.

[2] - عبد المجيد الجبار: المرجع السابق، ص 101.

– عززت الرقابة الذاتية للأفراد ففي عهد المرابطين كان من يتخلف عن الصلاة يضرب بالسياط مما جعل بعضهم يصلون حتى بغير وضوء حين يحين وقتها خوفا من العقوبة[1].

ونفس الأمر ظهر عند الموحدين في مراقبة السلوك الفردي وهوما أكده البيدق في قوله "عندما نظر المهدي إلى النساء يسقين والرجال يتوضأون أمر بمنع الإختلاط وصنع ساقية وصهريج في الجامع".[2]

– واحهت الممارسات المنحرفة خلال عهدي المرابطين والموحدين كما أشار ابن عبدون عن شرب الخمر في المقابر فكانت الحسبة وسيلة لمنع المنكرات والحفاظ على أخلاق المجتمع.[3]

–ساعدت هذه الخطة في تنظيم الحياة العامة كمنع الأكل والنوم في المساجد وكذا الجلوس في الطرقات ورمي الأوساخ كما ذكر ابن عبد الرؤوف[4]، أما في عهد الموحدين أنكر ابن تومرت رؤية نساء متبرجات يبعن اللبن فنهى عن هذا المنكر[5].كون الحسبة آلية تهدف إلى تنظيم حياة الناس اليومية بما يتماشى مع الضوابط الشرعية والأخلاقية.

– أكدت على العلاقة بين الدين والدولة إذ كانت دولة المرابطين نابعة من جهود الفقهاء المالكية وغلب عليها الطابع الديني[6]، ونفس الشيئ مع الموحدين الذين اعتبروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "القطب الأعظم" في الدين [7].وهذا ما منح الحسبة بعدا أخلاقيا عميقا حيث أصبحت أداة لتقويم السلوك ونشر القيم وضبط المجتمع.

---

[1] – الشيخ عدة: المرجع السابق، ص 570.

[2] – البيدق: المصدر السابق، ص 21.

[3] – ابن عبدون: المصدر السابق، ص 27.

[4] – ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق، ص،ص 110، 111.

[5] – البيدق: المصدر السابق، ص 21.

[6] – بن يحي مصطفى، « نفوذ الفقهاء المالكية في العهد المرابطي ،أسبابه، أثاره، نتائجه » مجلة ،الدراسات التاريخية ،مج2، سيدي بلعباس،2020/12/04م، ص 283.

[7] – صفية ديب، « التطرف الفكري في حركة الإصلاح عند ابن تومرت » مجلة أفكار وأفاق ، مج11، ع1، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2023/02/27م، ص 17.

– نشرت الوعي الديني والتوجيه الأخلاقي خلال عهدي المرابطين والموحدين حيث لم تكن الحسبة مجرد رقابة بل وسيلة تعليمية كما أشار الشيرزي " وكان النحتسب يتابع المخالفات ويصلح بين الناس ويدعوإلى الصلاح".[1]وهذا من أجل الحفاظ على الأخلاق العامة للمجتمع.

– ساهمت الحسبة في ترسيخ العدالة الأخلاقية من خلال تعزيز المساواة وتقليص الفوارق الاجتماعية، كما ظهر ذلك في عهد المرابطين عبر مراقبة الأسعار وحماية الضعفاء من الغش[2]، وأثناء عهد الموحدين خاصة خلال فترة حكم أبويعقوب المنصور الذي قام بمطاردة الفساد ومحاربة الترف حيث منع إقتناء الثياب الحريرية الغالية ومنع النساء من إرتداء الثياب الحفيلة لكي يتساوى جميع الأفراد ويلبسون اللبس البسيط[3] مما عزز الشعور بالإنصاف والإنضباط الأخلاقي في المجتمع.

2– الأثر الاجتماعي في زمن المرابطين والموحدين :

شهدت الأندلس في ظل دولتي المرابطين والموحدين اهتماما بارزا بمؤسسة الحسبة التي كانت أداة فعالة لتنظيم شؤون المجتمع وضبط سلوك الأفراد وفقا لمبادئ الدين الإسلامي، ففي عهد المرابطين تميزت الحسبة بدور واضح في مراقبة الأسواق والمعاملات وضبط السلوكيات العامة مما دل على حرص الدولة على الجوانب الدينية و الإصلاحية لبناء مجتمع منضبط أخلاقيا واجتماعيا.

أما في عهد الموحدين فقد استمر هذا الدور وتوسع ليشمل مختلف جوانب الحياة الاجتماعية حيث تم استخدام الحسبة كوسيلة لترسيخ القيم الإسلامية ومكافحة الفساد وتحقيق نوع من العدالة الاجتماعية ونتيجة للاهتمام الكبير من قبل السلطتين المرابطية و الموحدية بمؤسسة الحسبة قامت هذه الأخيرة بدور محوري في تحقيق التوازن بين مصالح الأفراد والمجتمع مما أفرز أثار إجتماعية واضحة كان من أبرزها مايلي:

– **نشر السلوك القويم والإنضباط الأخلاقي داخل المجتمع:** فقد عمل المحتسب خلال عهد المرابطين على معاينة سلوك الأفراد في الأسواق والمساجد حيث منع التلفظ بالألفاظ السيئة

[1] – الشيرزي: المصدر السابق، ص6.

[2] – الجرسيفي: المصدر السابق، ص 120.

[3] – بلقاسم فيلالي :المرجع السابق، ص 89.

والمظاهر الغير لائقة[1]، أما عند الموحدين فقد فرض على الناس الإلتزام الصارم بالصلاة واللباس الشرعي مما جعل السلوك العام أكثر إتزانا[2]، حيث أدى ذلك إلى تهذيب سلوك الأفراد وبناء مجتمع تحكمه القيم والإنضباط الأخلاقي.

– **تقوية التماسك الجتماعي وروح المسؤولية الجماعية**:كان المحتسب عند المرابطين يتدخل بشكل مباشر لإصلاح الخلافات بين المشتري والبائع مما عزز الروابط بينهم[3]وهذا ماأرسى قاعدة للثقة و التعاون في المجتمع .

أما عند الموحدين فقد شكلت الحسبة أداة لبناء مجتمع متعاون حيث شجعت الناس على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما بينهم[4]،مما ساهم في تعزيز روح التعاون و التضامن بين أفراد المجتمع وزيادة تماسكه الاجتماعي.

– **تعزيز الشعور بالعدالة والمساواة داخل المجتمع**: فبالنسبة للمرابطين كانت جميع فئات المجتمع بما فيهم كبار التجار يخضعون لرقابة المحتسب[5]، مما قلل الشعور بالظلم .

أما عند الموحدين فلم يستثن أحد من المراقبة حتى الحكام مثل ما قام به ابن تومرت عندما حاسب علي بن يوسف بن تاشفين على النمكرات بمراكش[6]، وبناء على ماتم ذكره يتبين لنا أن قواعد الحسبة تطبق على الناس كافة بما فيها أصحاب المناصب .

–**حماية الفقراء والمحتاجين داخل المجتمع** :وفي هذا الأمر عمل المحتسب على إجبار التجار على بيع السلع بسعر عادل لهذه الفئة ومنع من إحتكار المواد الأساسية [7]،كذا إنشاء آليات لجمع الزكاة تحت إشرافه وتوزيعها على المحتاجين بشكل منظم خلال[8] عصري المرابطين والموحدين.

---

[1] – الجرسيفي: المصدر السابق، ص ،ص 119-128.

[2] – البيدق: المصدر السابق، ص، ص ،11-13.

[3] – السقطي: المصدر السابق، ص، ص4 ،5.

[4] – صفية ديب: المرجع السابق، ص 17.

[5] – الجرسيفي: المصدر السابق، ص، ص 84، 85.

[6] – البيدق: المصدر السابق، ص ،ص27،28.

[7] – السقطي: المصدر السابق، ص5.

[8] – ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق، ص79.

– **الحد من الفوضى وتعزيز النظام العام داخل المجتمع**: وفي هذا الجانب ركز المحتسب في كلا العهدين على ضبط التجمعات العامة ومنع النزاعات وإنتشار مظاهر الفساد في المجتمع.[1]

ومن خلال ما سبق يمكن القول أن الحسبة لم تكن مجرد وظيفة دينية أو إدارية بل كانت أداة مهمة لضبط النظام العام و الحد من الفوضى مما ساهم في استقرار المجتمع و ضمان أمنه الاجتماعي في كلا العهدين وفق ما نصت عليه الشريعة الإسلامية في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

المبحث الثاني: حدود إلتزام المجتمع بقواعد الحسبة

شكلت الحسبة أحد الركائز الأساسية لتنظيم الحياة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي وهدفت إلى الحفاظ على النظام العام وحماية القيم الأخلاقية وضبط التعاملات بين الناس بما يوافق الشريعة الإسلامية وخلال عهد المرابطين والموحدين أدت دور مهم في مراقبة سلوك الأفراد وتنظيم الأسواق ومنع التجاوزات مما ساهم في خلق نوع من الإنضباط الاجتماعي والتماسك داخل المجتمع، وقد كان إلتزام المجتمع بقواعد الحسبة متفاوتا تبعا لدرجة وعي الأفراد الديني وكذا العادات السائدة مما أثر على طبيعة التفاعل الاجتماعي في تلك الفترتين .

1– في زمن المرابطين :

لم تكن في عهد المرابطين مجرد جهاز إداري لضبط السلوك العام بل تحولت إلى أداة فعالة لترسيخ السيطرة الأخلاقية والدينية [2]، وقد قام المحتسب بدور واسع النطاق حيث شمل تنظيم الأسواق ومراقبة العبادات ومنع المخالفات العلنية للأعراف الدينية.[3]

وهذا الإمتداد لوظائف الحسبة لم تكن عفويا بل كان جزءا من مشروع الدولة لتوحيد المجتمع على قاعدة دينية متشددة، ففي ظل هذا الإطار الصارم وجد المجتمع نفسه بين القبول والرفض فقد كان المحتسب يقوم بتوجيه فئات المجتمع حيث حرص على توجيه الناس وحثهم على

[1] – ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق، ص، ص 110–114.

[2] – الجرسيفي: المصدر السابق، ص، ص 119–128.

[3] – ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق، ص، ص ،70–114.

العبادات وتعليمهم مبادئ الدين الإسلامي ،كذا الحرص على مراقبة أماكن التدريس[1]، كما حرص على تنظيم الأسواق ومنع التجاوزات التي تحدث فيها [2] .

ولم تقتصر مهام المحتسب على هاته المهام فقط بل شملت كل المخالفات التي تؤدي بالفرد خاصة والمجتمع عامة، حيث كانت الرقابة مشددة حتى مع المحتسب وكان من يخالف تعاليمه ويظلم الناس يتم عزله ومعاقبته [3] .

لكن في المقابل لم تحضى مظاهر الممانعة إذ ظهرت مقاومة صامتة من بعض الفئات التي رأت في هذا التشدد نوعا من القسر، فعمدت إلى تحايل فقد كثرت هاته الآفات وانتشرت ومن بين مظاهر الممانعة نذكر:

– **التحايل على قوانين الأسواق:** وهذا ما وضحه الجرسيفي في رسالته حيث كان بعض الباعة يخفون البضائع الجيدة ويعرضون الرديئة عند زيادة المحتسب ثم يبيعون الممتازة بسعر أعلى سرا فقد كان هذا السلوك شائعا خاصة في المدن الكبرى [4] .

– **التمسك بالعادات القديمة:** رغم تشدد الحسبة تمسك بعض السكان بعباداتهم القديمة ورفضوا التخلي عن مظاهر الإحتفال مثل: مشاركتهم في أعياد نصرانية كخميس أفريل، خاصة في إشبيلية المجبنات والإسفنج وإظهار الفرح، وقد إعتبر الفقهاء هذا السلوك خروجا عن السنة رغم أنه عد عند البعض دليلا على روح التسامح [5] .

وهكذا يتبين لنا أن تمسك السكان بعاداتهم وإحتفالاتهم رغم محاولات الحسبة في ضبط السلوك العام يكشف عن مظاهر ممانعة إجتماعية عميقة تعبر عن صراع بين التقاليد المحلية والتوجهات الدينية الرسمية في الأندلس المرابطية .

---

[1] – ابن عبدون: المصدر السابق، ص، ص 21-26.

[2] – نفسه، ص،ص 29-61.

[3] – نفسه، ص 16.

[4] – الجرسيفي: المصدر السابق، ص، ص، 120، 121 .

[5] – إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس المرجع السابق، ص، ص، 93، 94 .

– **الإمتناع عن غلق المحلات وقت الصلاة:** فبعض التجار كانوا يعتمدون فتح محلاتهم وقت الصلاة لتحقيق أرباح إضافية وقد بين ابن عبد الرؤوف دور المحتسب في ردعهم وأمرهم بغلق الدكاكين والقيام بالصلاة [1] .

– **استمرار مجالس اللهووالطرب:** رغم تشدد بعض المحتسبين على منع مجالس الغناء والملاهي واستمرت مدن إشبيلية وبرشانة في إقامة حفلات الطرب سرا [2]، لكن فيما بعد أصبح بعض الأمراء يدعمون هذه المجالس أمثال يوسف بن تاشفين يسمع الغناء ويطرب له حتى أنه روي أهدى المعتمد جارية حسنة الصورة جيدة الغناء سمع منها الطرب لغنائها وتعبه في ذلك ابن علي بن يوسف [3]، مما أضعف جهود الحسبة وأقبى اللهوحيا في المجتمع .

– **السرية في إرتكاب المحرمات:** ومن بين هاته المحرمات بيع الخمور بشكل سري والتي كانت منتشرة ببلنسية حيث كانت الخمور تصنع بشكل خفي داخل المنازل سواء من العنب أوالرب حتى تصبح خمرا [4]، ولقد ظلت هذه الظاهرة متفشية رغم تشدد المحتسبين وقد ذكر الجرسيفي ذلك في قوله قائلا:"ويمنع ظهور القمارين والخمارين والسكارى في الأسواق "[5].

ومن خلال قوله يتبين أن هذه الآفة كانت موجودة حيث دعا المحتسب للنظر فيها.

–**التحالفات مع بعض المسؤولين:** ففي بعض الحالات كون التجار والحرفيون علاقات مع بعض الموظفين للتهرب من الرقابة مقابل الرشوة وهذا الأمر الذي نهى عنه ابن عبدون وحث على معاقبتهم [6].

---

[1] – ابن عبد الرؤوف، المصدر السابق، ص، 83 .

[2] – إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس المرجع السابق، ص، 100 .

[3] – حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين (صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى)، دط،دار الفكر العربي ،القاهرة ،دت، 442 .

[4] – إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس المرجع السابق، ص، ص، 97، 99 .

[5] – الجرسيفي: المصدر السابق، ص 123.

[6] – ابن عبدون: المرجع السابق، ص 12.

وفي الأخير نستنتج أن رغم محاولة المحتسب في قمع مظاهر الفساد والتفسخ الأخلاقي لكن كثر أنتشارها في أواخر عهد المرابطين بالأندلس مما أدى الإنحلال لسقوط دولة المرابطين التي كان أساسها نشر تعاليم الإسلام.

2-في زمن الموحدين:

كانت الحسبة في عهد الأندلس الموحدية وسيلة لضمان الإنضباط الديني والاجتماعي، حيث سعت الدولة إلى فرض قواعد دقيقة لتنظيم حياة الناس ومع ذلك تفاوت إلتزام المجتمع بهذه القواعد تبعا لإختلاف الظروف مما أبرز حدود قدرة السلطة على التحكم الكامل بالممارسات اليومية.

شهد المجتمع الأندلسي خلال عهد الموحدين إلتزاما ملحوظا بقواعد الحسبة، فقد كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هوالمهمة الأساسية التي ركز عليها ابن تومرت إذ كان يمارسها بنفسه أثناء عودته من المشرق إلى المغرب وجعلها محور دعوته[1] .

يتضح أن ابن تومرت كان له دور فعال في نشر المبادئ الدينية و تقوية السلوك القويم مما انعكس إيجابا على استقامة المجتمع و تنظيمه.

واكتملت دعوته من بعده بتأسيس دولة الموحدين فأصبح مبدأه من أهم واجبات الخلفاء فكان أول مايصدر من الخليفة الجديد رسالة تشدد على تطبيقه وتتوعد من يهمله خاصة بين الموحدين والطلبة وحرص الخلفاء على منع المحرمات مثل الخمر واللهووألزموا الناس بأداء العبادات كالصلاة والزكاة وفيما يخص الجانب الإداري من الحسبة مثل الرقابة على الأسواق وضبط المعاملات وضمان صحة المكاييل والموازين وفق الشريعة فقد بدأ الموحدون بتطبيقه بعد فتح مراكش في المغرب وأيضا الأندلس [2]، ومن هذا المنطلق يتجلى لنا أن الحسبة في عهد الموحدين لم تكن مجرد نظام إداري بل كانت منهجا متكاملا بجمع بين الإصلاح الديني والرقابة الاجتماعية والاقتصادية مما ساهم في ضبط سلوك الأفراد وإستقالة المجتمع وفق تعاليم الشريعة الإسلامية .

[1] - البيدق: المصدر السابق، ص، ص 11-29.

[2] - عزالدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي (تنظيماتهم ونظمهم) ،دط، دار الغرب الإسلامي، دب،دت، ص 207،

و رغم الصرامة التي اتسمت بها مؤسسة الحسبة والسلطات التي منحت للمحتسب إلا أن المجتمع لم يكن يلتزم إلتزاما كاملا بقواعد الحسبة في جميع الأحوال وسوف نذكرها فيمايلي:

– **الرفض الشعبي لبعض مظاهر التشدد:** ففي عهد الرشيد الموحدي بمدينة مرسية فرض أعباء ثقيلة على الرعية، حيث طلب الرشيد من أحد عماله جمع أموال الخراج بطريقة تعسفية وهذا التعدي على حقوقهم أثار رفضا لتطبيق الحسبة [1] .

– **ضعف سلطة المحتسب أحيانا:** يحدث ضعف للمحتسب عند ما يضعف الدعم السياسي أوعند مواجهة فساد كما حدث في عهد الرشيد الموحدي عندما طلب من ابن رجا جمع أموال من رعايا بغير حق ولما عجز قام بجلده حتى مات وأكمل في تلك الأحداث ففر بعض موظفي الدولة من ظلمه [2]، وهنا نستنتج تراجع دور سلطة المحتسب .

– **استمرار مظاهر بعض الإحتفالات:** رغم التشدد الذي فرضته الحسبة في ظل حكم الموحدين على بعض المظاهر التي كانت تحدث داخل المجتمع الأندلسي مثل الموسيقى و الغناء التي تشدد المحتسبون في حضرهما بشكل صارم باعتبارها مخالفة للقيم الدينية ،وهو ماكان ابن تومرت يسعى لتغيره من خلال مشروعه الإصلاحي إلا أنه لم يتمكن من القضاء عليها تماما وهو ماذكره البيدق في قوله " ولما وجد عروس تزف وهي راكبة على سرج واللهووالمنكر أمامها فكسر الدفوف واللهووغير المنكر " [3].

– **تفشي مظاهر الترف والمجون:** رغم منع ابن تومرت وبعض خلفاء من بعده كانوا ينهون هذا الفساد ويأمرون المحتسب على منع مجالس الغناء واللهولكن إشتهرت الأندلس بعدة منتزهات

[1] – مليكة عدالة: عامة الأندلس في العصر الموحدي، (أطروحة دكتوراه)، جامعة بن بلة، وهران، 1438-1439هـ / 2017-2018م، ص، 67.

[2] – مليكة عدالة : المرجع السابق ، ص، 67.

[3] – البيدق: المصدر السابق، ص، 20.

كمتنزه إشبيلية ،كانت فيه جميع أدوات الطرب والشرب فيه جائز، كما عرفت مخمرة مالقة بأنها مشهورة ومفضلة.[1]

– **انتشار مظاهر الظلم والفواحش:** لقد ظهرت بعض المخالفات في فترة إدريس الواثق آخر عهد بني عبد المؤمن حيث إنتشرت مظاهر الفساد والفحش وعم فيها شرب الخمور وهذا ما ذكره الحميري في قوله " إلى أن اختلت الأحوال ووقعت الفتن وفشا فيها الظلم والفجور وشرب الخمور والتحامل على الناس "[2].

وهنا يتبين لنا أنه لم يكن شديد الحرص على تطبيق الحسبة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهاته الموبقات التي تم ذكرها كان يحذر منها كل الحكام الأوائل.

– **رفض بعض الفقهاء الإلتزام بالحسبة:** وهم العلماء والفقهاء الذين خالفوا نهج الموحدين والذين كانوا يعاملون بقسوة من طرف الخلفاء حتى فر بعضهم وظلم البعض الآخر.[3]

– **تحايل أهل الذمة في إظهار شعائرهم الدينية:** رغم أن الموحدين فرضوا قيودا صارمة على أهل الذمة وقد أشار الشيرزي إلى ذلك بذكره قائلا "منعهم من إظهار شعائرهم علنا كالإحتفال بالأعياد أورفع الصلبان أوفتح الكنائس بحرية".[4] إلا أنه يبدوا أن الانطباع الشعبي والرسمي عن اليهود خلال العصر الموحدي كان صحيحا إلى حد كبير، كما تؤكده رسالة يعقوب إلى بابلإكريستياني، حيث روى معاناة اليهود من هدم البيع والحرق للكتب العبرية ومنع مراعاة السبت والأعياد، ومع ذلك واصل اليهود ممارسة حياتهم الدينية خفية.[5]

وهكذا يتضح لنا أن سياسة الموحدين تجاه أهل الذمة رغم شدتها وصرامة تدابيرها لم تتمكن من القضاء الكامل على الممارسات الدينية لهؤلاء بل دفعتهم إلى تطوير أسالب خفية للحفاظ

[1] – صديقي عبد الجبار: سقوط الدولة الموحدية (دراسة تحليلية في الأسباب والتدعيات)، (رسالة ماجيستر)، جامعة أبي بكر بلقايد، 1434-1435هـ/2013-2014م، ص 92.

[2] – الحميري: المصدر السابق، ص،541.

[3] – صديقي عبد الجبار: المرجع السابق، ص ،93.

[4] – الشيرزي: المصدر السابق، ص، ص ،107،106.

[5] – لبنى الورطيطي: «أهل الذمة بين التنظير والواقع خلال العصر الموحدي »، مجلة التراث، مج1، ع01، كلية الآداب والفنون جامعة مستغانم ،الجزائر،2011م، ص 30.

على هويتهم وشعائرهم الدينية مما يعكس مدى تمسكهم بعقيدتهم في وجه ضغوط وتضييق المحتسب.

المبحث الثالث: ارتباط مؤلفات الحسبة بالواقع الاجتماعي للأندلس

لقد جسدت مؤلفات الحسبة رابطا وثيقا بين الفقه وتنظيم الحياة اليومية في الأندلس خلال عهد المرابطين والموحدين وجاء تأليفها بدافع الحاجة الملحة لضبط الأسواق والسلوك الاجتماعي وفق مبادئ الشريعة الإسلامية ثم جمع الفقهاء والعلماء، ورغم عدم تقلدهم لمنصب الحسبة رسميا الأحكام الشرعية المأخوذة من المذهب المالكي في عصر المرابطين ثم المذهب الظاهري عند الموحدين وصاغوها في نظم وإرشادات علمية، ومن هذا الإرتباط تطور دور المحتسب ليصبح ضابطا اجتماعيا وإداريا في آن واحد ينهض بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويضمن سلامة المعاملات وحسن سير المهن والحرف ومع مرور الوقت وفي ظل حكم المرابطين ثم الموحدين تحولت هذه المؤلفات إلى مرجع أساسي للمحتسبين في أداء مهامهم اليومية، إذ اعتمدوا عليها كدليل تطبيقي يوضح الوجبات والإجراءات وما يجب مراقبته في الأسواق والحرف والأفراد، وبذلك أصبحت كتب الحسبة مرجعا علميا يعكس الواقع الاجتماعي للأندلس ويخدم مسيرة استقرارها وإزدهارها الحضاري ومن بين أبرز هاته المؤلفات خلال هذه الفترة نذكر:

1-كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب:

أ/ رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة: للمؤلف محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي الذي عاش زمن المعتمد بن عباد وعهد المرابطين فيما بعد.[1]

1- مضمون الرسالة: حيث تناول ابن عبدون في هذه الرسالة وظائف كل من القاضي والمحتسب والناظر في المظالم مع تركيز خاص على وظيفة الحسبة[2]، وقد إهتم بتنظيم شؤون الأسواق وضبط الأسعار والحفاظ على الأخلاق العامة وحماية الفئات الضعيفة من ظلم التجار وأرباب الحرف[3].

[1] - سلمى بن مسيفر: المرجع السابق، ص ،243.

[2] - ابن عبدون: المصدر السابق، ص،ص 16-21.

[3] -نفسه ، ص، ص 29-60.

تميزت رسالته بجمعها بين الجونب الفقهية التي يغلب عليها الطابع المالكي وبين الإرشادات العملية الموجهة للمحتسب مما جعلها دليلا مهما للعمل الميداني في مراقبة النظام العام.

2- أهمية رسالة ابن عبدون في الحسبة: اتسمت رسالة ابن عبدون في الحسبة بأهميتها الكبرى في تأطير الحياة الاجتماعية في الأندلس، حيث لم تقتصر على تنظيم الأسواق بل امتدت لتشمل مجالات متعددة كالمحافظة على الصلاة والنظافة العامة ومراقبة الأخلاق[1].

وقد بين ابن عبدون أن الحسبة ليست وظيفة إدارية فحسب بل رسالة أخلاقية يتحملها المحتسب بإعتباره قدوة في سلوكه وتعامله مع الناس[2].

وتكمن قيمة هذه الرسالة أيضا كونها تعكس واقع المجتمع الأندلسي إذ لم تكتب من نسج الخيال بل استمدت من الواقع المعاش من حياة الناس اليومية فكانت بمثابة مرآة لسلوكهم وأداة لتقويمه، لذلك أصبحت مرجعا يعين على المحتسب على أداء دوره في إصلاح المجتمع وترسيخ مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ب- رسالة ابن عبد الرؤوف في آداب الحسبة والمحتسب: للمؤلف أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف الأندلسي الأصل حيث يرجح أنه عاش في القرن الثاني عشر الميلادي، أي فترة تابعة لبني أمية في الأندلس وخاصة في عهد عبد الرحمان الناصر لأنه يقال خلال سنة 319هـ/931م انتقل من صاحب مدينة إلى وزير.[3]

1-محتوى اللرسالة: تتناول هذه الرسالة دور المحتسب في مراقبة الأسواق وتنظيمها كما ركز ابن عبد الؤوف من خلالها على مراقبة إلتزام الناس بالأمور الدينية كالصلاة والزكاة والنظر فيهما، وإلى جانب هذا اهتم بالنظافة العامة وكذا جل مظاهر الفساد.[4]

2- أهمية الرسالة: تعتبر رسالة ابن عبد الرؤوف في آداب الحسبة والمحتسب تعبيرا حيا عن واقع المجتمع حيث لم تكتب في عزلة عن الناس بل غستندت إلى مشكلاتهم اليومية وسلوكهم

[1] - ابن عبدون: المصدر السابق، ص ،ص 21-60.

[2] -نفسه ، ص، ص 20، 21.

[3] -سلمى بن مسيفر: المرجع السابق، ص، 247.

[4] - ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق، ص، ص 70-114.

العملي، فكانت بمثابة دليل تطبيقي للمحتسب في أداء مهامه ليشمل الجوانب الدينية والمعاملاتية مع السعي لتصحيح النظرة القاصرة لدور المحتسب.[1]

وهذا الطابع الواقعي والتوجيهي جعل من رسالته مرجعا موثوقا لدى الأنظمة الإسلامية اللاحقة حيث اعتمدت عليها دول مثل المرابطين والموحدين لما وجدت فيها من حلول تناسب طبيعة مجتمعاتها التي كانت تعيش ظروفا مشابهة لما وصفه ابن عبد الرؤوف في عصره.

2- كتاب آداب الحسبة: جاء هذا الكتاب من تأليف الفقيه أبي عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي الأندلسي الذي مارس مهمة الحسبة بنفسه في مالقة في نهاية القرن الحادي عشر للميلاد أوبداية القرن الثاني عشر، أي خلال فترة المرابطين.[2]

1-محتوى الكتاب: يعرض السقطي في كتابه هذا تنظيم مهام المحتسب وضبط الموازين والمكاييل، ومراقبة جودة الطعام والدواء[3]، وكذا تنظيم الأسواق ومنع الغش وفق الشريعة الإسلامية.[4]

2- أهمية الكتاب: يعتبر كتاب آداب الحسبة مرجعا هاما في مجال الحسبة حيث تم تأليفه إستجابة لطلب بعض أصدقائه الذين لاحظوا الحاجة إلى تنظيم وظيفة المحتسب وفق مبادئ الشريعة الإسلامية[5]، قدم السقطي من خلاله قواعد عملية لتنظيم عمل المحتسبين وجمع بين التأصيل الفقهي والتطبيق العملي. إذ تكمن أهميته في أنه لا يقتصر فقط على الإشراف التنظيمي للمجتمع من خلال المحتسبين، بل استوحى قواعده من واقع الناس ومشاكلهم اليومية مما جعله وثيقة ذات صلة قوية بالواقع الاجتماعي وأصبح الكتاب أداة قيمة للمحتسبين في عهدي المرابطين والموحدين في مراقبة المجتمع وتنظيمه بما يتماشى مع القيم الإسلامية.

---

[1] - ابن عبدون: المصدر السابق، ص ،ص 70، 114.

[2] - سلمى بن مسيفر: المرجع السابق، ص، 235.

[3] - السقطي: المصدر السابق، ص، ص 3-20-37.

[4] - نفسه: ص، ص 37-72.

[5] - سلمى المسيفر: المرجع السابق، ص، 235.

3- كتاب الرتبة في طلب الحسبة: للمؤلف الإمام علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي (364-540هـ) الذي عاش عصر الخلافة العباسية.[1]

1- محتوى الكتاب: ذكر الماوردي في كتابه موضوع الحسبة بوصفها نظاما شرعيا وأخلاقيا لحماية المجتمع من الفساد والظلم[2]، كما تطرق لعرض شروط المحتسب وصفاته وطرق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [3]، إضافة إلى تنظيم الأسواق وضبط المكاييل والموازين ومراقبة أصحاب المهن ومنع الغش والمنكرات.[4]

2- أهمية الكتاب: تكمن أهمية كتاب "الرتبة في طلب الحسبة"للماوردي كونه من أوائل المؤلفات التي أرست قواعد الحسبة بشكل منظم وجمعت بين النظرية والتطبيق.[5] هذا ولم يكتفي الماوردي بعرض الأحكام بل استوحى توجيهاته من واقع المجتمع فجاء كتابه إنعكاسا للأوضاع الاجتماعية والسياسية التي كانت تمر بها بلاده في القرن الخامس الهجري[6]، كما أن مؤلفات الحسبة بشكل عام تمثل قواعد مستوحاة من الواقع الاجتماعي مما جعلها أداة مهمة للمحتسب في مراقبة وضبط السلوك الاجتماعي.[7]

ورغم البعد الجغرافي بين المشرق والأندلس إلا أن حركة إنتقال العلماء والكتب بين العدوتين ساهمت في وصول الكتب وانتشارها، التي أضحت فيما بعد مرجعا أساسيا للحكام والمحتسبين في فترات لاحقة كعهدي المرابطين والموحدين حيث ساعدتهم في ضبط السلوك العام ونشر الإستقرار في المجتمع.

ويتضح من خلال تحليلنا لمؤلفات الحسبة في الأندلس خلال فترة حكم المرابطين و الموحدين أنها لم تكتب في فراغ فقهي أو فكري بل جاءت استجابة مباشرة و ضرورية لما كان يحدث في

[1] - الماوردي: المصدر السابق، ص، ص7، 9.
[2] - نفسه: ص، ص 64-69.
[3] نفسه ، ص، 99.
[4] - نفسه: ص، ص 99-495.
[5] - نفسه: ص، ص 40-41.
[6] - نفسه: ص، ص17-28.
[7] -نفسه ، ص، ص 33-36.

المجتمع الأندلسي من تحولات و تحديات ، استوحاها أصحابها من الواقع المعاش أو استمدوها من المؤلفات المشرقية ،فقد كانت هذه الكتب بمثابة مرجعية أساسية تعكس بنية المجتمع الأندلسي في مختلف جوانبه الاجتماعية و الدينية و حتى الاقتصادية .

و اللافت أن هذه المؤلفات لم تقتصر على سرد الأحكام و القواعد بل تضمنت مشاهدات واقعية و أمثلة عملية وتوصيات تطبيقية ما يدل على إنخراط المؤلفين في الشأن العام و حرصهم على جعل المحتسب أداة فاعلة للإصلاح الاجتماعي و هذا يعكس في النهاية كيف أن فقه الحسبة في الأندلس كان علما حيا نابضا بالواقع متفاعلا مع نبض المجتمع و موجها لخدمة استقراره و توازنه.

وفي ختام هذا الفصل يتضح أن الحسبة في الأندلس خلال عهدي المرابطين والموحدين كانت أكثر من مجرد وسيلة إدارية بل كانت منظومة إجتماعية وأخلاقية تهدف إلى تقويم السلوك وتعزيز القيم الإسلامية في المجتمع، فقد أسهمت في تحقيق توازن بين حقوق الأفراد والمجتمع وجسدت الرابط القوي بين القوانين الشرعية وواقع الحياة اليومية، كما برزت مؤلفات الحسبة كمرجع عملي يعكس هذا التفاعل بين النظرية والتطبيق وتعد شاهدا على حرص العلماء على ربط الفكر الفقهي بالممارسات الاجتماعية التي كانت تعيشها الأندلس.

خاتمة

تم بعون الله إنجاز هذا العمل الموسوم ب: الحياة الاجتماعية في الأندلس من خلال كتب الحسبة في عهد المرابطين والموحدين ومن خلاله توصلنا إلى مجموعة من النتائج جاءت على النحوالتالي :

– أتاح لنا هذا البحث فرصة التعمق في البنية الاجتماعية للأندلس خلال عهد المرابطين والموحدين من خلال عدسة دقيقة وثرية تتمثل في كتب الحسبة وقد كشفت لنا هذه المصادر أن المجتمع الأندلسي لم يكن مجرد كيان عشوائي بل كيانا منظما تحكمه قواعد دقيقة تمس الحياة اليومية وتوجه سلوك الأفراد بما ينسجم مع القيم الإسلامية والضوابط الأخلاقية.

– يمكن إعتبار الحسبة نافذة يطل منها الباحث على الحياة الاجتماعية في العصر الوسيط مشرقا ومغربا وذلك لأن خطة الحسبة كانت من الخطط التي بواسطتها تم مراقبة الحياة الإجتماعية وتنظيماتها ويظهر ذلك من خلال يوميات الفرد التي رصدها لنا المحتسب.

– تطورت هذه الخطة في الأندلس بشكل واضح في عهدي المرابطين والموحدين من وظيفة رقابية تقليدية إلى جهاز إداري وديني متكامل يخدم أهداف الدولة.

– اهتم المرابطون بهذه الوظيفة حيث جاءوا بحركة إصلاح ديني حيث عمل المحتسب على متابعة هذه الخطة لضبط السلوك العام مثل منع التبرج وشرب الخمر، الإختلاط ومراقبة الصلاة وغيرها من الأمور التي تخالف الشريعة الإسلامية واستندوا في تطبيقها إلى أحكام الفقه المالكي الذي كان المذهب الرسمي للدولة.

– أما الموحدون فقد تبنوا مشروعا دينيا أشد صرامة يرتكز على التوحيد والعقيدة الصحيحة، فقد كانت الحسبة عند ابن تومرت أكثر من مجرد وظيفة رقابية بل كانت أداة إصلاح ديني وعقائدي لتجسيد مشروعه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهوشعار مركزي في دعوته التي ربطها بالعقيدة وإعتبر أن من لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فهوآثم حتى ولوكان حاكما.

– ساعدت هذه المهنة في نشر الفضيلة ومكارم الأخلاق بين الناس كالأمانة والنزاهة وحتى الصدق وتطهير المجتمع من المناكر وتقوية الإنضباط الديني مما عزز الرقابة الذاتية عند الأفراد حيث كانت تمارس من قبل الدولة وتخدم المجتمع ولهذا رأى الناس في الدولة راعيا لأمورهم الدينية والدنيوية.

– استطاعت الحسبة أن تنظم المجتمع وفق قواعد مستوحاة من الشريعة الإسلامية مما زاد من إلتزام الناس بقواعدها خوفا من العقوبة أوالفضيحة، لكن هذا لا يعني أن الجميع كان يلتزم دائما حيث كانت هناك مخالفات خاصة في المدن الكبرى مثل قرطبة وإشبيلية أين وجد الإختلاط التجاري، لكن عموما كانت الحسبة تحظى بإحترام كبير وإلتزام الناس بها كان يعتبر مقياس للتقوى والصلاح.

– ونستطيع القول أن خطة الحسبة قد حققت معظم الأهداف التي أنشأت من أجلها فيما يتعلق بالحفاظ على القيم الاجتماعية والأخلاقية.

وفي الختام نأمل أن يكون هذا العمل قد أسهم ولوبقدر يسير في تسليط الضوء على هذا الجانب المهم من تاريخ الأندلس وفتح أفاق جديدة للبحث في تفاصيل الحياة الاجتماعية التي غالبا ما تهمل في الدراسات التاريخية لصالح الجوانب السياسية والعسكرية .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم (برواية ورش)

أولا: المصادر

أ-كتب الحسبة:

1- ابن الإخوة (محمد بن أحمد القرشي) ت 769هـ، معالم القربة في احكام الحسبة ،تحقيق محمد محمود شعبان، ط1، مكتب الإعلام الإسلامي، 1408هـ .

2- ابن بسام (محمد بن أحمد) نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق حسام السامرائي، مطبعة المؤيد، بغداد، 1968م.

3- ابن تيمية(أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام) ت728هـ، الحسبة في الإسلام، مطبعة المؤيد، 1318هـ.

4-الجرسيفي (عمر بن عثمان بن عباس)، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ،مج 2، تحقيق ليفي بروفنسال ،مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة،1955م.

5-السقطي(أبي عبد الله محمد بن أبي محمد) ت القرن 6هـ، في آداب الحسبة ،مجلد21، تحقيق جي سي كولين وآخرون وليفي برفنسال، منشورات معهد الدراسات العليا المغربية.

6- الشيرزي (عبد الرحمن بن نصر) ت590هـ، نهاية الرتبة في طلب الجسبة، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1365هـ، 1955م.

7-ابن عبد الرؤوف (أحمد بن عبد الله) ت القرن 6هـ، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ،مج2، تحقيق ليفي برفنسال، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية القاهرة، 1955م.

8-ابن عبدون (محمد بن أحمد التجيبي) ت القرن 5هـ، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، مج 2، تحقيق ليفي برفنسال، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.

9-الماوردي (أبوالحسن علي بن محمد بن حبيب)ت 450هـ، الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية، أحمد جابر بدران،ط1، دار الرسالة، القاهرة، 2002م.

10-يحي(بن عمر بن عثمان)، أحكام السوق، تحقيق محمود علي مكي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004م.

ب-كتب الفقه والنوازل:

1- ابن سهل(بن عبد الله الأسدي)ت 486هـ، الإعلام بنوازل الأحكام المعروف بالأحكام الكبرى، ج1، تحقيق نورة محمد عبد العزيز التويجري، ط1، 1995م.

2-الماوردي (أبوالحسن بن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي) ت450هـ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق سمير مصطفى رباب، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2010م.

ج- كتب الحديث والتفسير :

1-الترميذي(أبي عيسى محمد بن عيسى) ت273هـ، الجامع الكبير، مج4، تحقيق بشار عواد.

2-ابن السعدي (عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر) ت 1376هـ-1956م، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2002م.

3-القشيري (أبومسلم الحجاج النيسابوري) ت 261هـ، صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر من السنن.

4-النووي (أبوزكرياء يحي بن شرف) ت676هـ، صحيح مسلم النووي، ج2،المطبعة المصرية بالأزهر، مصر، 1929م.

5- النيسابوري (أبوعبد الله الحاكم) زوائد كتاب المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، 1411هـ-1990م، رقم 1393.

د-كتب التاريخ العام:

1-البيدق(أبوبكر بن علي الصنهاجي) ت558هـ، أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م.

2-ابن حيان (أبومروان حيان بن خلف بن حسين) ت469هـ، المقتبس، ج5، تحقيق شالميتا كورينطو، المعهد الغسباني العربي للثقافة، مدريد، 1979م.

3-ابن خلدون(أبوزيد عبد الرحمن بن محمد) ت 808هـ، المقدمة، مج1، تحقيق كارتمير، مكتبة لبنان، بيروت ،1992م.

4- ابن أبي زرع(أبوعبد الله محمد بن عبد الحليم) الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ،دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

5-أبي الفداء (الملك المؤيد عماد الدين)، المختصر في أخبار البشر، ج2، تحقيق محمود أيوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

6-ابن القطان(أبوالحسن علي بن محمد الكتامي الفاسي) ت646هـ، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، ط2، دار الغرب الإسلامي، 1410هـ-1990م.

7- ابن الكثير (إسماعيل بن عمر الدمشقي أبوالفداء) ت 774هـ، البداية والنهاية،ج12، مكتبة المعارف ن بيروت، لبنان، 1412هـ-1991م.

8-المراكشي(محي الدين عبد الواحد بن علي التميمي) ت647هـ: -
المعجب في تلخيص أخبار المغرب،وضع حواشيه خليل عمران المنصور، ط2، دار الكتب العلمية، 2005م.

- وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية 1997.

هـ –كتب التراجم والسير :

1–الحميدي (أبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي) ت488هـ .

–جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1966م.

–جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1429هـ–2008م.

2–الخشني (أبوعبد الله محمد بن حارث بن أسد) ت 361هـ.

– أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق ماريا لويسا أبيلا ولويس مونيا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1991م.

– قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، مراجعة عزت العطار الحسيني، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1994م.

3–الذهبي(شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان) ت748هـ، سير أعلام النبلاء، ج19،تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط1 ، مؤسسة الرسالة، بيروت ،1981م.

–سير أعلام النبلاء ، ج21 ، تحقيق بشار عواد معروف و محيي هلال الرحمن ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1984م.

–سير أعلام النبلاء ، ج8 ، تحقيق ، شعيب الأرنؤوط و نذير حمدان ، ط11 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1996م.

4–ابن سعيد(نور الدين أبوالحسن علي بن موسى العنسي) ت685هـ، المغرب في حلى المغرب، تحقيق وتعليق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر.

5–ابن الفرضي(أبوالوليد عبد الله بن محمد) ت 403هـ، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الأسلامي، تونس، 1429هـ–2008م.

و-كتب الرحلات والجغرافيا:

1-الحميري (أبوعبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم) ت728هـ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس ،ط2، مطبعة هيد لبرغ، لبنان، بيروت، 1984م.

2-المقري (ابوالعباس أحمد بن محمد بن يحي التلمساني) ت1041هـ .

- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس ،ج1، دار صادر، بيروت، 1968م.

-نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس ،ج2، ط1، دار الأبحاث، الجزائر، 2008م.

ثانيا: المراجع

1-أشباخ(يوسف)، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ،ترجمة وتعليق محمد عبد الله عنان ،ج1،ج2، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ-1996م.

2-إمام(محمد كمال الدين)، أصول الحسبة في الإسلام ،ط1، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة،1986م.

3-البشر(محمد بن عبد الرحمن)، مباهج الأندلس،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971م.

4- بلغيث (محمد الأمين)، دولة المرابطين بالأندلس(من مدينة السياسة إلى مدينة العلم) ،ط1، دار الوعي السياسي، الجزائر، 2009م.

5-البكر (خالد بن عبد الكريم بن حمو)، النشاط الاقتصادي في الأندلس في عصر الإمارة (138-316هـ/755-928م) ،مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض،414هـ-1993م.

6-(بوتشيشين) إبراهيم القادري :

-المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع-الذهنيات-الأولياء) ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ،1993م.

-مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

7-بولطيف (لخضر)،فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر ،2015م.

8-(التربابي) جهاد، كتاب مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، المكتبة الشاملة.

9-حسن (حسن علي)، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (عصر المرابطين والموحدين)، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م.

10- حمدي (عبد المنعم محمد حسين)، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين ،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997م.

11-(الخزاعي كريم عاتي)، أسواق بلاد المغرب(من القرن السادس حتى نهاية القرن التاسع هجري)، الدار العربية للموسوعات.

12-الخلف (سالم بن عبد الله)، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ج1،ط1، فهرس مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، 2003م.

13-دندش (عصمت عبد اللطيف)، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين(عصر الطوائف الثاني500-546هـ/1116-1151م) ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت،بيروت، 1408هـ-1988م.

14-دويدار(حسن يوسف)، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي(138-432هـ/755-1030م)،ط1، 1994م.

15-السامرائي(أسامة عبد الحميد حسين) ،دولة المرابطين(تأسيسها-ثورتها-تنظيمها-عقيدتها)،دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان ،1971م.

16-سرهنك الميرلاي(إسماعيل)، حقائق الأخبار عن دول البحار،ج2،المطبعة الأميرية ببولاق،مصر المحمية،1316هـ.

17-سعدون (عباس نصر الله)، دولة المرابطين في المغرب و الأندلس (عهد يوسف ابن تاشفين أمير المرابطين) ، ط1 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1985م.

18-الصلابي(علي محمد)، صفحات من التاريخ الإسلامي(دولة الموحدين)، دار البيارق للنشر، 1998م.

19- عبد الله (عبد الله محمد)، ولاية الحسبة في الإسلام ،ط1، 1417هـ-1996م.

20-عبيدات(داود عمر السلامة)، المرابطون في الأندلس، ط1،دار الكتاب الثقافي، الأردن، 14427هـ-2007م.

21-علام (عبد الله علي)، الدولة الموحدية بالمغرب(في عهد عبد المؤمن بن علي) ،دار المعارف، مصر ،1971م.

22-عنان (محمد عبد الله)، دولة الإسلام في الأندلس(عصر الموحدين)، ج5، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001م.

23-عواجي (غالب ابن علي) فرق معاصرة (تنتسب إلى الإسلام و بيان موقف الإسلام منها) ، ج1 ، ط4 ، المكتبة العصرية الذهبية ، جدة ، 2001م.

24-الفاسي (عبد الرحمن) ،خطة الحسبة في النظر والتطبيق والتدوين، دار الثقافة، المغرب،1984م.

25-بن قربة (صالح)، عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1991م.

26-كحيلة(عبادة)، تاريخ النصارى في الأندلس،ط1، كلية الآداب للنشر ،جامعة القاهرة، 1993م.

27-لقبال(موسى)، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب(نشأتها وتطورها) ،ط1،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،1971م.

28-مؤنس (حسين)، فجر الأندلس(دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية 711-756م) ،ط1، دار المناهل للنشر والتوزيع ،2002م.

29-محمود (حسن أحمد)، قيام دولة المرابطين(صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى)، دار الفكر العربي، القاهرة .

30-المحمود(عبد الرحمن بن صالح)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، ج2،ط1، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعوديةن 1415هـ-1995م.

31-موسى(عز الدين عمر) ،الموحدون في الغرب الاسلامي(تنظيماتهم ونظمهم)، دار الغرب الإسلامي .

32-النجار (عبد المجيد)، المهدي ابن تومرت(حياته وأراؤه وثورته الفكرية والإجتماعيةوآثره بالمغرب)، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1403هـ-1983م.

33-الهروس (مصطفى)، المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن الثالث الهجري نشأة وخصائص، وزارة الأوقاف الإسلامية، المملكة العربية، 1418هـ-1997م.

ثالثا: الرسائل الجامعية والأطروحات

1-أطروحة الدكتوره:

1-عدالة(مليكة) ،عامة الأندلس في العصر الموحدي ، (أطروحة دكتوراه)، جامعة بن بلة ، وهران، 2017-2018م.

2-العوفي(سلمى بن سلمان بن مسيفر الحسني)، الحسبة في الأندلس(92هـ-897م) ، دراسة تاريخية تحليلية ، (رسالة دكتوراه) ، كلية الدعوة ، جامعة الإمام بن سعود الإسلامية ، المدينة المنورة ، 1420-1421هـ.

2-رسائل الماجستر:

1-بن حليمة(إبراهيم)،نظام الحسبة في المغرب والأندلس في فترة الملرابطين والموحدين (رسالة ماجيستر)، كلية العلوم الإسلامية، قسم اللغة والحضارة العربية الإسلامية، جامعة الجزائر 01 ،2012-2013م.

2-الزغلول (جهاد غالب مصطفى)، الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، (رسالة ماجيستر)، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1994م.

3-شنينة (حسين)، الحسبة والمحتسب في الأندلس من الفتح إلى سقوط غرناطة، (رسالة ماجيستر)، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر ،2012م.

4-صديقي (عبد الجبار)، سقوط الدولة الموحدية(دراسة تحليلية في الأسباب والتدعيات)، (رسالة ماجيستر) ،جامعة أبي بكر بلقايد، 1434-1435هـ/2013-2014م.

5-ظاهر(فريدة حسن طه)، الرقابة على السلع والأسعار في الفقه الإسلامي، (رسالة ماجيستر) في الفقه والتشريع، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2011م.

6-محمد(صالح إدريس) ، تاريخ الدعوة الإسلامية في الأندلس(من بداية الفتح حتى نهاية القرن الرابع الهجري) ، (رسالة ماجيستر)، كلية الدعوة و الإعلام ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، 1414هـ.

رابعا: المجالات

1-بن حاج ميلود، « الإصلاح الديني والاجتماعي عند المرابطين والموحدين (448-668هـ/1056-1269م) »، دراسات تاريخية ،مج10 -ع2، جامعة زيان عاشور بالجلفة، الجزائر، 1444هـ،2022م.

2-ديب صفية،« التطرف الفكري في حركة الإصلاح عند ابن تومرت»، مجلة أفكار وآفاق،11م، ع1،المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة ، الجزائر، 2023م.

3-رافع رضا ،« الحسبة مهنة وولاية وخطة في العهد الموحدي»، مج 11،ع1، قسم العلوم الإنسانية، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، الجزائر ،2017م

4-سعد محمد عبد الله ،« أسواق المغرب الأقصى عصر دولة الموحدين من سنة 541-609هـ/1145-1212م»، مجلة كلية الآداب، جامعة قناة السويس، ع29، يوليو2012م.

5-الشيخ عدة،« الدعوة الدينية المرابطية، أسسها وخصوصياتها وأثرها في قيام الدولة(447-542هـ/1055-1148م)»، مجلة الإحياء، مج20، ع27، جامعة حسيبة بن بوعلي شلف، نوفمبر 2020م.

6-فيلالي بلقاسم ،« الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين أحكام الشريعة وممارسات الموحدين »، مجلة المعيار ، ع 41،جامعة الأمير عبد القادر كلية العلوم الإسلامية، قسنطينة، 2016م.

7-المعموري محمد عبد الله والشمري يوسف كاظم، «الحسبة في الأندلس»،مجلة العلوم الإنسانية، ع10، كلية التربية صفي الدين الحلي ، جامعة بابل ، العراق ، 2012م.

8-الورطيطي لبنى ،« أهل الذمة بين التنظير والواقع خلال العصر الموحدي»، مجلة التراث، مج1، ع1، كلية الآداب و الفنون جامعة مستغانم ، الجزائر ، 2011م.

9- بن يحي مصطفى ،« نفوذ الفقهاء المالكية في العهد المرابطي أسبابه، أثاره ،نتائجه»، مجلة الدراسات التاريخية، مج2، سيدي بلعباس،2020/12/04م.

خامسا: الموسوعات والمعاجم

أ-الموسوعات :

1- حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان .

ب–المعاجم :

1–الزركلي(خير الدين)، الأعلام، ج1، ط15، دار العلم للملايين، 2002م.

2–ابن منظور(أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي ت 711هـ، لسان العرب، ج1، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف .

سادسا: المحاضرات

1–مجهول، دولة الموحدين في المغرب(نشأة دولة الموحدين)، مرحلة ماجيستر، تاريخ المغرب والأندلس، محاضرة 06، www.uoanbar.ed.ig تاريخ الدخول ،2–1–2025م.

سابعا: المواقع الإلكترونية

1–عائد عميرة، أبويعقوب يوسف بن عبد المؤمن، مسيرة حافلة بالأمجاد والإرث الخالد، 27–09–2024م www.hoohpost تاريخ الدخول 05–02–2025م.ت خ 05–02–2025م.

02– عائد عميرة، إدريس الواثق آخر خلفاء دولة الموحدين وقصة سقوط أقوى دولة مغاربية، 12–10–2024م www.hohpost .com تاريخ الدخول 07–02–2025م.ت خ 07–02–2025م.

فهرس المحتويات

كلمة شكر

اهداء

قائمة المختصرات

مقدمة 7

الفصل التمهيدي: الاطارالمفاهيمي والسياسي

المبحث الأول: نشأة الحسبة وتطورها في الأندلس 6

أولا: تعريف الحسبة 6

1-1 الحسبة لغة: 6

2-1الحسبة اصطلاحا: 8

ثانيا:مشروعية الحسبة: 10

2-1 في القرآن الكريم: 10

2-2 في السنة النبوية: 11

ثالثا:شروط وآداب متولي الحسبة: 12

1- المحتسب: 12

2- شروط متولي الحسبة: 12

3- آداب المحتسب 13

رابعا : الحسبة في الأندلس: 14

المبحث الثاني: الأندلس في عهد المرابطين والموحدين 18

أولا- الأندلس تحت نفوذ المرابطين (541-497هـ/1086-1147م): 18

ثانيا- الأندلس تحت نفوذ الموحدين541-668هـ/1147-1269م): 20

الفصل الأول:

الحياة الاجتماعية في الأندلس على عهد المرابطين وإرتباطها بالحسبة

المبحث الأول:فكرة الحسبة عند المرابطين 23

1- التوثيق التاريخي والرصيد التراثي للحسبة : 23

2-الحسبة عند المرابطين في المغرب: 26

المبحث الثاني: مكونات المجتمع الأندلسي وخصائصه 29

أولا: المسلمون 30

1- العرب: 30

2- البربر: 31
3- المسالمة والمولدون: 32
4 – الموالي: 34
5 – الصقالبة : 35
ثانيا: غير المسلمين..... 37
1 – النصارى:..... 37
2 - اليهود : 38
المبحث الثالث: مظاهر تفعيل خطة الحسبة في الأندلس المرابطية..... 39
1-الحسبة في المساجد وتنظيم الأنشطة الدينية فيها :..... 40
1-1 ما يخص الأئمة والمؤذنين :..... 41
1-2- ما يتعلق بتعليم العلوم في المساجد :..... 42
1-3- ما يتعلق بصيانتها وإصلاح منشآتها :..... 43
1-4- خدمة المساجد والمحافظة على نظافتها وتنظيمها: 44
2 – الحسبة في المقابر والرقابة على ما يحدث داخلها:..... 45
3- الحسبة في السجون وضمان تطبيق القيم الشرعية:..... 47
3-1- ما يتعلق بالإشراف على السجون :..... 48
أ- تفقد السجن:..... 48
ب- إفراغ السجون في الأيام المباركة : 48
ج- ما يخص المحتجزين: وبخصوصهم ذكر ابن عبدون جملة من الأمور منها :..... 48
د– ما يخص النساء : 48
هـ- ما يخص السجانين :..... 49
و- ما يخص العمال :..... 49
4- الحسبة في المباني والطرقات ومتابعة الإلتزام بالقوانين :..... 50
أ- ما يتعلق بالمباني وفحص مقاييسها وأدوات البناء : 50
ب – الإشراف على الطرق والمزابل : 52

الفصل الثاني:

الحياة الاجتماعية في الأندلس الموحدية

المبحث الأول: فكرة الإصلاح عند الموحدين وإرتباطها بالحسبة..... 55
1- الحسبة عند ابن تومرت (ت524هـ/1130م): 55
2- الحسبة عند باقي الخلفاء الموحدين : 63

أ- الحسبة في عهد عبد المؤمن بن علي(558-524هـ/1130-1163م):.....63
ب- الحسبة في عهد أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن(580-558هـ/1163-1184م) : 66
ج – الحسبة في عهد أبي يوسف يعقوب بن يوسف المنصور (595-580هـ/1184-1199م):.....67
د – الحسبة في آخر عهد الموحدين: 68
المبحث الثاني: واقع الحسبة في المجتمع الأندلسي الموحدي 70
1/تعليم الناس والوعظ الديني : 70
2- مراقبة تطبيق الشريعة الإسلامية في الحياة اليومية : 71
3- محاربة الفساد الأخلاقي وتطبيق العقوبات على المخالفين :.....73
4- الرقابة على الأسواق والمهن : 74

الفصل الثالث:

أثر الحسبة على المجتمع الأندلسي في عهد المرابطين والموحدين

المبحث الأول: الأثر الأخلاقي والاجتماعي 77
1- الأثر الأخلاقي في زمن المرابطين والموحدين: 77
2- الأثر الاجتماعي في زمن المرابطين والموحدين :.....79
المبحث الثاني: حدود إلتزام المجتمع بقواعد الحسبة 81
1- في زمن المرابطين : 81
2-في زمن الموحدين: 84
المبحث الثالث: ارتباط مؤلفات الحسبة بالواقع الاجتماعي للأندلس.....87
1-كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب: 87
أ/ رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة: 87
2- أهمية رسالة ابن عبدون في الحسبة: 88
ب- رسالة ابن عبد الرؤوف في آداب الحسبة والمحتسب: 88
1-محتوى اللرسالة: 88
2- أهمية الرسالة: 88
2-كتاب آداب الحسبة:.....89
1-محتوى الكتاب: 89
2- أهمية الكتاب: 89
3-كتاب الرتبة في طلب الحسبة:.....90
1- محتوى الكتاب: 90
2- أهمية الكتاب: 90

خاتمة 92
قائمة المصادر والمراجع :..... 96

الملخص:

تطرقنا في هذه الدراسة إلى تحليل الحياة الاجتماعية في الأندلس خلال العهدين المرابطي والموحدي، مع التركيز على كتب الحسبة كمصدر رئيسي يكشف تفاصيل الحياة اليومية آنذاك. وبدأنا البحث بتقديم تمهيدي حول نشأة الحسبة وتطورها في الأندلس، إلى جانب استعراض الإطار السياسي والاجتماعي السائد في تلك الفترة.

ثم انتقلنا إلى تحليل البنية الاجتماعية في العصر المرابطي، من خلال استكشاف مفهوم الحسبة لديهم، ودراسة تكوين المجتمع وسماته الأساسية، مع تسليط الضوء على تطبيقات نظام الحسبة في المجالات العملية مثل إدارة الأسواق، والرقابة الأخلاقية، وتنظيم المهن. كما تناولنا بالتفصيل الحياة الاجتماعية في العهد الموحدي، مركزين على الجوانب الإصلاحية لنظام الحسبة ودوره الفعال في ضبط المجتمع.

واختتمنا البحث بتقييم تأثير نظام الحسبة على المجتمع الأندلسي، سواء على المستوى الأخلاقي أوالاجتماعي، مع تحليل درجة استجابة الأفراد لتوجيهات المحتسب، وإثبات الترابط الوثيق بين نصوص الحسبة والواقع الاجتماعي في تلك المرحلة التاريخية.

الكلمات المفتاحية:

الحسبة، الحياة الاجتماعية، الأندلس، المرابطون، الموحدون، التاريخ الإسلامي.

Abstract :

In this study, we explored the analysis of social life in al-Andalus during the Almoravid and Almohad periods, focusing on *ḥisba* manuals as a primary source that reveals the details of daily life at the time. We began the research with an introductory overview of the origins and development of the *ḥisba* system in al-Andalus, along with a review of the prevailing political and social framework during that era.

We then moved on to analyze the social structure during the Almoravid period by exploring their understanding of *ḥisba*, studying the composition of society and its main characteristics, and highlighting practical applications of the *ḥisba* system in areas such as market regulation, moral oversight, and professional organization. We also examined in detail the social life during the Almohad era, focusing on the reformist aspects of the *ḥisba* system and its effective role in maintaining social order.

The study concluded with an assessment of the impact of the *ḥisba* system on Andalusian society, both morally and socially, including an analysis of the public's responsiveness to the *muḥtasib*'s directives and affirming the strong correlation between *ḥisba* texts and the social reality of that historical period.

Keywords:

Hisba, social life, al-Andalus, Almoravids, Almohads, Islamic history.